

جورج أمادو

جورج أمادو

فارس الرمال

ترجمة محمد عيتاني

فارس الرمال



أمازون 86

أمازون 86

الى الصديق
م

رسالة من السيد قاضي الأحداث إلى هيئة تحرير « صحيفة المساء »

السيد مدير « صحيفة المساء » مدينة سلفادور ، ولاية باها

مناطني العرير
تحياتي فسيه

اسمى لذي تصمحي صحيفتكم في احدى المسهبات النادرة من الفراع التي تتركها لي
مناعى المعدده والمسيرة لي وطيفي المرفقة. اطلعت على رسالة من حصرة قائد شرطة
الولاية الذي لا يكفل لي تقديم جهوده لخدمة العدالة وراحة المواطنين. ويعرب في رسالته
هذه عن الدواعي التي لاجلها لم تتمكن الشرطة حتى هذا اليوم من تشديد الحملة القيمة
ممن ولئنك الأولاد الخائضين الذين يعتبرون فساداً في مدينتنا. وينشرون فيها ما يشه
الاء من المرائم والارتكابات المختلفة. ويرر السيد قائد الشرطة موقفه باعلانه بأنه لم
يكن يملك أمراً من محكمة الأحداث لاجل القيام بعمل موجه ضد جرائم الأولاد
وحمهم. واني. دون دعة مبي لي أن اصح المسؤولية بأي حال من الاحوال على قيادة
الشرطة. والواقع والتي لا تكفل. أرى نصبي ملزماً. في صالح الحقيقة (هذه الحقيقة
داتها التي يصنها كمنارة نصي. طريق حثاني بصورتها النقي جداً) بأن اعلن بأن العذر
الذي ابداه قائد الشرطة عمر صحيح. انه عمر صحيح. يا سيدي المدير. لأنه لا يدخل
في صلاحات محكمة الأحداث مطاردة واعتقال الأحداث القصر الخائضين. بل أن
صلاحات هي تعيين المكان الذي عليهم قضاء فترة عقوبتهم فيه. وتعيين قيم المراقبة أية
محاكمة مدمون اليها التح. ولا يعود لصلاحية محكمة الأحداث القبض على الخائضين
الصغار. بل أن صلاحيتها تقوم في السهر على مصيرهم اللاحق (أي بعد اعتقالهم اثر
جرائمهم أو حمهم). وإن على السيد قائد الشرطة أن يسيطر الالتقاء في المكان
الذي يدعو اليه الواجب ذلك لاني طوال خسين عاماً من حياتي الققة الناصعة. لم

الدار العدمي الروح والوجه لقد قصي ولدي الفوس هناك سنة اشهر ولولم اتدبر المسألة لآخره حيا من هذا الجحيم لست ادري ما إذا كان المسكين يستطيع أن يعيش هناك سنة أشهر أخرى دون أن يموت إن أقل ما يتعرض له أولادنا في تلك الدار الاصلاحية هو أن سالوا صبرات تروى لهم مرتين أو ثلاث مرات كل يوم. إن مدير ذلك المكان يقضي حياته في شرب الخمر إلى حد أنه يتدحرج على الارض وهو يحب أن يرى الوسط بللع على حبات اولادنا وقد رأيت هذا المشهد مراراً عديدة، لايمه لا يهيمون بنا، وهم يقولون انهم يفعلون ذلك لتربية الولد نائثل الصالح. لهذا أخرجت ولدي من هناك. ودا أرسلت صحيفتكم إلى هناك شخصاً نالسر. فسوف تستطيع أن يرى نوعية الغذاء الذي يماله المساكين الصغار. والعمل العيسودي الذي يرمعون على العباد به، ولرى كيف أن رجلاً مكتمل الحولة لا يستطيع احتمال الضربات وأعمال السخرة التي تصيب الاطفال. ولكن لأجل رؤية هذه المشاهد، يجب أن يذهب أحد محرريكم إلى هناك بصورة سرية وإلا إذا علم المسؤولون عن السجن بوجود مدوب صحفي فيهم سيفتخرون المكان وكأنه جنة مشرقة الابواب للنعم اذهبوا إلى هناك فوراً وسترون من الذي يقول الحق ولأجل هذه الاشياء، وغيرها أيضاً يوجد فرسان الرمال، وأفضل أن أرى ولدي بينهم، على رؤيتي في تلك الدار الاصلاحية الدائمة الضمت وإذا اردت رؤية شيء، اذهبوا إلى هناك، وكذلك، إذا كنتم تريدون، تستطيعون السحدث مع الاب حورية بيدرو الذي كان كاهناً هناك، ورأى كل ما تحدثت عنه. وهو يستطيع أيضاً أن يروي ذلك وبمعارات افضل. لست امكثها.

ماريا وريشاردينا - خياطة

(بشر لي الصفحة الخامسة من « صحيفة النساء » من
اعلامات، وبدون صورة ولا تعليق)

انلكا أو أناجر أو اترود في تمبيذ واجي

كما أنني، خلال الأشهر الأخيرة المنصرمة، أرسلت إلى دار الاصلاحية عدة احداث حائرين أو متشككين. وليس خطأي إذا كان هؤلاء الأولاد الاشقياء يعرفون وإذا لم يكونوا يستعيدون من مبادئ العمل التي يحدونها في هذه المؤسسة التربوية، وبالتالي فإنهم يحلون عن حو يتعمسون فيه الأمن والعمل، وحيث يعاملون بأكثر عطف. إنهم يعرفون من الاصلاحية وتصحون أكثر فساداً أيضاً، وكأن المثال الذي نلقوه كان شيئاً وصاراً. فإذاً إن هذه مشكلة يعود حلها إلى علماء النفس وليس إلى الذي ليس سوى فضولي صغير بهم بالطفلة

وما أريد أن اعله واصحاً كالبلور، هو أن السيد قائد الشرطة يستطيع الاعتماد على أفضل دعم من محكمة الاحداث لتشديد الحملة ضد الاحداث المجانحين أو المجرمين

ابي انخص سعادتك اعجابي وتقديري

قاضي الأحداث

(بشر لي « صحيفة النساء » مع صورة لسامي
الأحداث وتعديلي الطرائي صغير)

رسالة من أم - خياطة

إلى هيئة تحرير « صحيفة النساء »

سيدي المحرر

اعدوني للاخطاء الإملائية والنحوية، نظراً لأنني غير معتادة على مسألة الكتابة، وإذا كتب ابوح اليوم النكم، فذلك لأجل وضع لبقاط على الحروف لقد رأست في نصيحة. معاذاً عن سرقات. فرسان الرمال، وأثر ذلك على القور جاءت الشرطة لتعذب نأبها سلاحهم وحيث جاء السيد قاضي الاحداث ليذكر أن من سوء الخط كثيرا أن هؤلاء الأولاد المعقلين لا يصحون افضل في الدار الاصلاحية التي كان يرسل إليها الأولاد المساكين ولأجل الخديث عن دار الاصلاح المذكورة أكتب هذه السطور بخطي الردي. وانسى أن ترسل صحيفتكم اقدر محرريها ليرى الدار المذكورة ولكي يرى كيف يعامل أولاد الفقراء الذين شاء سوء حظهم أن يبقوا بين حراس تلك

رسالة من الأب جوزيه بيدرو إلى هيئة تحرير « صحيفة المساء »

السيد مدير تحرير « صحيفة المساء »
تحياتي على اسم يسوع المسيح

قرأت في صحيفتكم ذات الشهرة الكبيرة رسالة ماريا ريشاردينا التي تذكركم في مصغي شاعداً قادراً على تقديم إصاحات حول حقيقة حياة الأولاد المسجونين في الدار الإصلاحية . وأنا مضطرب للخروج من الظلام الذي أعيش فيه ، لأقول لكم بأنه . لسوء الحظ ، إن ماريا ريشاردينا هي على حق ، إن الأولاد في الدار الإصلاحية موضوع احداث بعاميون كما تعامل «الوحوش الضاربة» هذه هي الحقيقة لقد سني درس السيد محرر المظنط جداً . وبدلاً من كسب ود الأولاد ، نظرائي طيبة . فإن «لنحارب» بمعنى «أكثر تمرداً» . عمليات ضرب متواصلة ، وعقوبات جسدية ، عبر اسباب . وقد حسبت برادة تلك الدار الإصلاحية لاجل إلى الأولاد تعريبات الدين ، وقد وجدته قدس الاستعداد لمقبلها . وذلك طبعاً سيحة للعضاء التي تترام في عده العلوب العسة . احديس كثرنا بالشعفة وإن ما رأيته هاك ، يا سيدي المدير ، يمكن أن يقدم بحري كذاب كمثل . مع الامتنان الكبير لانتباهكم من خدام المسيح

الأب جوزيه بيدرو

(رسالة نشرت في الصفحة الثالثة من « صحيفة المساء » مع عنوان « من هذا صبح » و بدون تعليق) .

رسالة من مدير الدار الإصلاحية إلى هيئة تحرير « صحيفة المساء »

السيد رئيس تحرير « صحيفة المساء »
تحياتي

لقد نشأت باهتمام كبير الحملة التي نشها « الصحيفة الالامعة » في باهيا . هذه الصحيفة

التي تدمرونها يدكاه ، قوي جداً . صد اخوانكم المعرفة لـ « فرسان الرمال » وهي عصابة من الاولاد الجاهلين والمجرمين التي تحجب المدينة وتمنعها من العيش باطمئنان . وعنى هذا لنحو قوأت رسائلي اتهام صد المؤسسة التي أدبرها ، والذي ينبغي التواضع ، والتواضع وحده حصرة السيد المدير ، من أن أصفها بـ « التمردية » . وسألته لمراسلته التي وجهتها امرأة طيبة من الشعب ، فقلت : أهم التة بها فهي لا تستحق أن أورد عيبها ولا ثن . وهي إحدى النساء الكثيرات جداً اللواتي يتأين ويردن احبولة دون تخفى لدار الإصلاحية للمهمة المقدسة لتربية « أولادهم » . وهن بيرينيس لي لمارغ . وفي الوخل . وحين يخص هؤلاء الاولاد عدتنا حياة تمردية . فإن هؤلاء النساء هن أول من يشتكى لي حين أن عليهن أن يلقن أيدي لدين يصنعون من أولادهم رجالاً حزينين . وهن يبائين بـ « دي » ذي يده تطلبت الحصول على مكان لأولادهم . واث ذلك تنشق لهم . وهم يشتغل أيضاً في تاج السرقات الذي كان الاولاد محضرونه إلى البيت . وينتهي من الأمر إلى الاحتجاج ضد الدار الإصلاحية ولكن كما سبق لي القول ، سيدي المدير ، فإن هذه الرسالة لم تثر اهتمامي ، إنها ليست من امرأة صفة من الشعب ، التي سمعهم العمل الذي احققه ، على رأس هذه المؤسسة ، وإن ما أثار اراسعي ، يا سيدي المدير ، هو رسالة الاب جوزيه بيدرو ، رجل الدين هذا الذي يسي وطائف رسالته ، وينطلق الملهوم ضد المؤسسة التي أدبرها ، هوجهاً إليها اتهامات خطيرة . إن هذا الكاهن (الذي اسمه كاهن الشيطان ، إن سمعت في نمرحه صعرة يا سيدي المدير) والذي اسعمل وظيفته للدخول إلى مؤسستنا التربوية في أوقات موعدة في الطعام الخاص بهذه المؤسسة ، ولذي صده شكوى حدية ، أريد أن اعلمها . لقد حوص الاولاد القاصرين الذين عهذت الدولة هم إلى . على التمرد و تعصان . ومنذ أن دخل إلى هذه الدار ادادات حالات التمرد ومخالفة الانظمة إلى الكاهن موضوع الحديث ليس سوى حرص ، دي طبع سي . شريف . يقوم بتحريض الاولاد القاصرين الموضوعين تحت حراستي . ولأجل هذا ، أريد أن أسمع من الدخول إلى دارنا الإصلاحية .

ومها يكن يا سيدي المدير . فإني اتنى حساني كلمات الحياة التي كنت إلى هذه لصحبته . وأنا الذي اطلب اليك أن ترسلوا محرراً إلى « دار الإصلاحية » واسي اعبر هذه مسألة تخصني شخصياً ، وسيكون في وسعكم على هذا النحو ، ومعكم جمهور الغراء أن تحصلوا على معرفة دقيقة وصادقة وثقة حقيقة حول كيف يعامل « الاولاد القاصرون الذين تنجدد بمسانهم ويعققون التحسن في دار الإصلاحية لأولاد

تحت ضوء القمر
في مستودع قديم مهجور

المستودع

تحت ضوء القمر . في مستودع قدم مهجور ، كان الأولاد نائمين في الماضي كان ها البحر وعلى الحجارة الكبيرة السوداء لأسس المستودع ، كانت الامواج تنحطم نارة في دوي وطوراً تأتي لتصرب الحجارة بنطف . وكان الماء يمر من تحت الحبر ، الذي يرقد تحته الآن أولاد عديدون ، تضليلهم خصلة صفراء من ضوء القمر . ومن هذا الحبر ، خرجت سفن شرعية لا تحصى ، مع شحناتها . وكان بعض هذه السفن هائلة الصخامة ، مذهوبة بالوان عجيبة ، تخفي إلى مغامرات الاجتيازات البحرية . وها كانت تأتي السفن لخلي غنايرها السفلى ، والرسو تحت الحبر ذي الألوان المأكلة اليوم . وفي السابق . أمام المستودع ، كان يمد سحر البحر الاوقيانوسي ، وكاتب الليلي امامه خضراء معتمة ، شبه سوداء ، هذا اللون الغامض السحري الذي هو لون البحر في الليل .

واليوم يرى الليل صبراً تجاه المستودع ، وذلك لأنه تجاه الليل تمتد الآن رمال أرصفة المرفأ . وتحت الحبر ، لم يعد هناك هدير للأمواج لقد احتاحت الرمال كل شيء . وأرجعت البحر عدة امتار وشيئاً فشيئاً ، وبيطه . غطى الرمل واجهة المستودع . ولم يعد السنين الشراعية ترسو ها أبداً . وكانت تبحر من مكان لآخر يجمعولاتها . ولم يعد العبيد ذوي العضلات الماردة يعملون ها ، وكان قد أنسى بهم نظام الرق . ولم تعد تساعد . تحت الحبر اعية بجار امتانه الخنير . وقد امتد الرمل بلونه القضي . امام المستودع . ولم يعد يملأ المسودع الواسع جداً بالباللات والطرود والأكياس والصناديق . وبقي لمستودع مهجوراً . وسط الرمال ، بقعة سوداء على تبايض ارضه الميناء

وطوائى اعوام . ظل المستودع مأهولاً فقط بالجرذان التي كانت تختاره في حري مرج وطائش وكانت تقضم حطب اوائه الصخمة . وكانت تسكه سيذة عليه وحدها . وفي عهد معين ، دخل اليه كلب منرد ، كان يبحث عن ملجأ ضد الريح والمطر . ولم يم في ليله الأولى . اذ انشعب في عمريق الجرذان التي كانت تغر امامه بسرعة . وقد نام اثر

ذلك بصع ليال، نائماً في رجة القمر، عند الصبح، ذلك لأن قسماً من السقف قد هار، وكانت الشعة القمر تنفذ بجريه، مصبة أرض المستودع المصنوعة من الواح علبقة. لكن هذا الكلب كان لا شك كلياً دون صاحب، فذهب بسرعة حاجتاً عن مأوى آخر طلبات باب، أو اعاق جسر، أو عن جسد دافق. للكلية، واستعادت الحرفان يملكتهن، حتى اليوم الذي اختار فيه «فرسان الرمال» هذا المستودع المجهور ليكبروا فيه.

في بيت العهد، كان الباب قد انهار من جانب، ودخل أحد «فرسان الرمال» إلى المستودع، حين كان يتسكع يوماً عبر املاكه الواسعة. (ذلك لأن كل منطقة رمال الارضه، كما هي جميع أنحاء مدينة «هايا» كان يملكها «فرسان الرمال»).

وكان هنا أفضل موضع تماماً لليوم منه على الرمل العاصري، أو في المستودعات الأخرى حيث كانت المياه تتصاعد أحياناً غالياً جداً بحيث تهدد باغراقهم. ومنذ تلك الليلة، أخذ قسم كبير من «فرسان الرمال» ينامون في المستودع القديم المجهور، في ضججه الحفرون تحت القمر الأصفر وأمامهم كان الانساع اللانهائي للرمال، وهي بباص لا نهاية لها أيضاً. وفي العبد، كان البحر الذي تنكسر امواجه على ارضه الميناء، ومن الباب، كانوا يرون أصواء السفن التي تدخل وتخرج. وعمر السقف، كانوا يرون السماء الملأى بالبحور، والقمر الذي يعمر أرجاء السماء والأرض بضياءه الباهر.

وبعد وقت قصير، نقلوا إلى المستودع مخزون الأشياء التي كانت تتجمع لديهم من عمل النهار، وقد دخلت حينئذ إلى المستودع أشياء عربية، لكنها ليست مع ذلك أكثر غرابه من هؤلاء الأولاد النصوص الاشتقاق، من جميع الألوان والاعمار، على اختلافها، منذ من التاسعة حتى السادسة عشرة، الذين كانوا في الليل يتمددون على الأرض، تحت الجسر، مائمين بلا مبالاة بالريح التي تهب حول الجس وهو تزعزع، وغير أنهم يمياء المطر التي كانت كثيراً ما تنسلهم، لكنهم يقفون أعينهم موجهة نحو اصواء السفن وادانهم منتبهة إلى الأغاني القادمة من المراكب...

وهنا يسكن أيضاً زعيم «فرسان الرمال» - بيدور مالا. ومنذ وقت مبكر، منذ سنة الخامسة، أطلق عليه هذا الاسم. وهو اليوم في الخامسة عشرة من عمره ومنذ عشرة اعوام وهو ينتشر وينسكع في طرقات «هايا». وهو لم يعرف أبداً أي شيء عن امه، وقد قُتل أبوه برصاصة وبقي بيدور وحيداً، وقضى سنوات في التعرف إلى المدينة. وهو اليوم يعرف كل دروبها وطرقاتها وشوارعها، ولا يوجد حجارة أو محل لبيع العواكه أو مقهى لا يعرفه. وحين انخرط في «فرسان الرمال» (إن الارضعة التي بنيت

جدينا قد اجتمعت برمالها جميع اولاد المدينة المشردين) كان زعيم «الفرسان» هو رايموندو، «الكابوكل» (أي الخلاصي البرازيلي)، وكان في هجيناً قوي البنية واكثر النشاط.

وتم يحتفظ رايموندو، الكابوكل، رماً طويلاً مركزه كزعيم «الفرسان الرمال». وكان بيدور بالا اكثر نشاطاً منه بكثير. وكان يعرف كيف يرتب الضربات، ويعرف كيف يباغض الآخرين. وكان يحمل في عينيه وفي صوته سلطة الزعيم. وفي أحد الايام، نشاجرا وكان من سوء حظ رايموندو أنه اسفل موسى وروح بها وجهه بيدور وهي ندبة بعيت في وجهه هائياً. وتدخل الآخرون، ونظروا لأن بيدور كان بلا سلاح، فقد اعطاه رفاقه اخق، وانتظروا، أملين بانتقام لم يتأخر في الحقيقة. وفي احدى الليالي، حين أراد رايموندو أن يصير به باراندو، وقف بيدور إلى جانب الرعي الصغير، وانتقل الحصان على الأرض (أي رايموندو وبيدور)، وانخرط في صراع أكثر اثاره من أي صراع سبق أن شهدته رمال المرفأ. وكان رايموندو أكر جسماً وأكثر سناً، لكن بيدور نالا، وشعره الاشقر المنطير في افواه، والندبة الحمراء في وجهه، كان ذا رشاقة مائلة في توجيه الضربات، وهكذا تغلب على رايموندو. ومنذ ذلك اليوم، لم يتخل رايموندو فقط عن قيادة «فرسان الرمال»، بل توك المكان كله، والتحق أثر ذلك بالعمل على احدى السفن.

وقد اعترف الجميع بمخوق بيدور بالا في القيادة واستاء من ذلك الحين بدأت المدينة في سماع الحديث عن «فرسان الرمال»، أولئك الاولاد المشردين الذين يعيشون من السرقة. ولم يعرف أحد اطلاقاً العدد المضبوط للاولاد الذين يعيشون على هذا النحو. وكانوا أكثر من مئة ومن بين هؤلاء، كان أكثر من اربعين يامون في المستودع القديم.

وكانوا يلبسون اسلماً نالية، وقدرين وأنشاء جاعلين باستمرار، وعسودايين، يظفرون الشنائم، ويدخنون اعقاب السجائر، وكانوا في الحقيقة سادة المدينة، أولئك الذين يعرفونها بكاملها، والذين يجيئها كلياً، وكانوا هم شعراءها.

ليل «فرسان الرمال»

كان ليل السلام الكبير القادم من ارضة المرقأ قد لف السفن الشراعية، والقلعة، وسد الميناء، وتحدد على طلعات الطرق وأبراج الكنائس. وكانت الاجراس قد كفت عن الرنين لصلاة الغروب، ذلك لأن الساعة السادسة كانت قد دقت منذ حين طويل، وإذا كان القمر لم يبرز بعد في هذه الليلة النيرة، فقد كانت السماء ملأى بالنجوم. وكان المستودع مفصل المشهد عن بباص الرمال التي تحتفظ بآثار خطى «فرسان الرمال»، الذين كانوا قد ناموا. وفي البعيد، كان النور الضعيف لـ «بورتا دو مار» (وهي حانة للحجارة) يبدو وكأنه يختصر. وكانت ريح باردة تهب مثيرة الرمال ومعركة سير الرعي حواري غراندي الذي كان يتأهب للدخول إلى النوم. كان يضي منحنياً تحت الريح مثل شراع زورق. كان طويل القامة، وهو أطول فتيان العصابة، وأقوامهم أيضاً. وكان شعره قصيراً وعضلاته صلبة، رغم أنه لا يكاد يتجاوز الثالثة عشرة من عمره. انقصت أربع منها في أوسع حريبات الحياة. راحصاً في طرقات «باهيا» في صحبة «فرسان الرمال». ومنذ بعد ظهر ذلك اليوم، حين صرع أبوه، وهو سائق عربة عملاق. في صدمة من شاحة، في حين كان يقود حصانه إلى جانب الطريق، لم يعد الحق حواري غراندي إلى بيتهم الصغير في «المورو»^(١). وأمام «جوار» كانت المدينة الغامضة المأوى بالأسرار، وقد ذهب لغزوها، إن مدينة باهيا، السوداء والبقية. هي غامضة تقريباً مثل غمرص البحر الأخضر وامتلأه بالأسرار. ولأجل هذا بالذات، لم يعد حواري غراندي إلى بيته أبداً. وقد انضم وهو في التاسعة من عمره إلى «فرسان الرمال»، حين كان «الكابوكل» (الخلاصي ويمونديو) ما زال هو الزعيم والمجموعه غير معروفة، ذلك لأن الكابوكل لم يكن يجب أن يتعرض للخطر. وبسرعة كبيرة، فرض جوار غراندي نفسه كواحد من زعماء المجموعة، ولم يفته أبداً حضور أي من الاجتماعات التي كان ينظمها القادة لتدبير السرقات. وليس ذلك لأنه

(١) «المورو»: ثمة يعيش عليها الزوج في اكواح.

كتاب له مواهب خاصة كتمضم خوادث السطو هذه، ولا حتى كان لديه ذكاء حاد بل بالعكس. محمد كان التفكير بسب له وجعاً في الرأس، وكانت عيابه تحرقه حين يحاول التفكير. وكان صواب بذلك الأمل أيضاً حين يرى شخصاً ما بسبي، معاملة الصغر. حينئذ كانت عضلاته تتوتر. وكان يصبح مستعداً لأية مشاجرة لكن قوته الضعيفة لمآله. كاتب تحمله متحمساً مرهوب الحجاب، وكان الصبي «دوال رجل الرخوة» يقرل عنه.

بـه ريجي عبي لكه قوة جبارة

وكان الصبيان الأصغر سناً، جميع هؤلاء الصغار الذين يصلون إلى الجماعة منعصم بالخوف. كانوا يبدون في «حواري غراندي» أقوى حاتمهم وأصلهم. وكان يبدون الرعي يجب أنصاً الأصحاء إلى حواري. وكان هذا يعرف جيداً أنه لا يجوز على صداقة يبدون بسب قوته، أي حواري غراندي، بل إن يبدون كان يحد أي الرعي بسب. ولم يكن بسب من التردد.

لك طيب. يا غراندي وأنت أفضل مما أنتي احبك كثيراً. وكان سرست يطلع على ساق الرعي الذي كان وجهه يحمر من التأثير والسرور.

كان حواري غراندي يتقدم نحو المستودع. وكانت الريح تعرق سره. واعسى هو يكن مغاربه صد الريح التي كانت ترفع الرمال في الهواء. وكان حواري حانة «بورتا دو مار» يشرب كأساً من الخمر مع «حبيب الله الطيب» الذي وصل اليوم من محار الحبوب. حيث يوجد أحد المصائد.

وكان «حبيب الله الطيب» هو أشهر لاعب كايويرو^(٢) في المدينة ومن الذي لا يحترمه في «باهيا». وما من أحد يستطيع أن ينافس «حبيب الله الطيب» في مصارعة الكايويرو. حتى ولا ربه مؤيبي الذي حاز شهرة عظيمة في ريتودي جانيرو. وقد روى «حبيب الله الطيب» الاحبار: وأبلغ بأنه سيظهر في اليوم التالي في «المستودع» لمواصلة اعطاء دروس في مصارعة الكايويرو التي يتلقاها يبيدرو ببالا، وحواري غراندي، القطر. كان حواري غراندي يذبح سحابة ويسير نحو المستودع. وكان اثر قدميه الكبريت يطلع في الرمل. لكن الريح، كانت تقوم بمحو آثار خطاه. وكان الزيجي

(٢) الكايويرو: طريقة مصارعة ولدت من رغبة التلويح. وقد احتضنت معها بالابحار والتي تعاصب حركتها مرة حرقه مرسف حاحة. وهذه المصارعة التي تشكل اسرار الرشاقة على الفترة هي المصارعة الوطنية المباردة

يفكر في أن طرق البحر خطيرة في هذه الليلة المجرى الربيع.

كان جوار غراندي يمر تحت الجسر، وتفرس قدماء في الرمل متلهياً أن يسبح أحسام الرفاق الذين يقدرون هنا. ودخل إلى المستودع، وقد تردد لحظة، ونظر حتى يتبين ضوء شجرة الأستاذ. وكان هذا في إبعاد رواية من المبني. أخذ في القراءة على صوت، كان حواء غراندي يفكر في أن هذا الضوء هو أضعف وأكثر نراقصاً من... في حانة «سورنا دي مور» وأن الأستاذ يضعف بصره لكثرة قراءته هذه الكتب المنطوقة بأحرف صغيرة واتجه حواء غراندي نحو الأستاذ رغم أنه، أي جوار، كان بام دائماً عند باب... ربح، مثل كلب حراسة، والخنجر قرب يده، لتلافي أية ساعة.

كان يصيح مائراً بين جماعات الفتيان التي تناقش، وبين الأولاد النائمين، ووصل إلى قرب «الأستاذ»، وقرعص إلى جانبه، وراح يراقب القراءة المنتبهة للشخص الآخر.

إن جوار - جوزيه - الأستاذ، منذ اليوم الذي سرق فيه كتاباً من على رف منزل في حي «بارا» قد اعتبر أستاذاً في هذا النوع من السرقة، بيد أنه لم يغم أبداً بيع الكتب التي كانت تنكس في إحدى زوايا المستودع، تحت قطع الأجر، لكي لا تعرضها الخردا. كان يقرأها كلها نظماً اقرب إلى الحصى. وكان يجب أن يعرف الأشياء، وكان هو نفسه الذي يروي، في كثير من الليالي، للفتيان الآخرين قصص المأمورين، والبحارة والشخصيات البطولية والاسطورية، وهي قصص كانت تشجد هذه العيون المنهجة نحو البحر أو نحو طلمات المدينة، في تعطف إلى المغامرات والبطولة كان حراو - جوزيه هو الوحيد بين فتيان «فرسان الرمال» الذي يقرأ بصورة صحيحة، ومع ذلك لم يقص في المدرسة سوى عام ونصف، لكن الممارسة اليومية للقراءة قد أبعثت حياله كلياً، وربما كان هو الوحيد بين رفاقه، الذي لديه رعي معين لما يوجد من بطولات في حيوات الناس. وهذه المعرفة وهذه القدرة على رواية القصص قد أكتسبته احترام «فرسان الرمال» له، رغم أنه كان صغير الحجم، نحيفاً وحزيناً، وشعره البني يشاقل على عصبه الضيقين الحسرتين (ميوب). وقد لقب بـ «الأستاذ» لأنه تعلم في أحد الكتب المسروقة القيام ببعض الألعاب السحرية، مع متاديل ودراهم، وكذلك لأنه بدى روايته القصص التي كان يقرأها، وكثيراً غيرها كان ينقلها، كانت لديه القدرة العظيمة والعامضة بالارباب. لنقلهم إلى عوالم متعددة، وكانت لديه القوة لجعل العيون المتوجهة لـ «فرسان الرمال» تترك متلألئة كما تتلألأ وحدها نجوم ليل

«بابها» ولم يكن يبدو مالا يقرر شيئاً دون أن يستشير «الأستاذ» وكثيراً ما كان خيال «الأستاذ» هو الذي ولد أفضل خطط السرقة ولم يكن أحد يعرف مع ذلك، أنه سيأتي يوم، بعد أعوام كثيرة، حيث سيعلمه أن يروي في لوحات شتير رعب البلاد، قصة حيوات «فرسان الرمال»، وكثير من القصص الأخرى لرجال يناضلون ويبدون الكثير من المتاعب والأمسى. ربما كانت دون أبنائها (٢) وحدها، أو معها «ماي دي سانتو» (٣) هي التي تعرف ذلك، والتي تسري معاصرات الابطال الزنوج والخلاسيين في ليالي العواصف.

ظل حواء غراندي وقتاً طويلاً ينظر إلى الآخر وهو يقرأ. وبالنسبة للزنجي، لم تكن هذه الحروف تعني أي شيء. وكان بصر الزنجي ينتقل من الكتاب إلى ضوء الشمعة المرفوعة، ومن هذا إلى الشمر المشعث «للاستاذ» وانتهى به الأمر إلى التعم، وسأل بصوته الخار الحلي: - أهذا جميل يا أستاذ؟

حول الأستاذ نظره عن الكتاب، وربت يده النعيفة المعروفة على كتف الزنجي، أكثر المعجب به حرارة وقال، إنها قصة رائعة يا كيري المعلم.

والتعمت عبا الأستاذ.

- أي قصة مجار؟

- إنها قصة زنجي مثلك تماماً. وهو زنجي وقوي في الحقيقة.

- هل نردبها في؟

- حين تنتهي من قراءة الحكاية، سوف ترى أي زنجي عظم هو بطلها...

وعاد ليسترق في صفحات الكتاب واشمل جوار غراندي سيجارة رخيصة، وعدم في صمت سيجارة أخرى «للاستاذ»، وراح يذخن، مترفعاً كما لو أنه كان يسبح في قراءة الآخر، وغير المستودع كان ينتشر صوت صكحات، وشرارات، وصحبات وكان حواء غراندي يتنير بوضوح صوت «ذي الرجل الرخوة»، الذي كان بصر صريراً وعجنح. كان «ذي الرجل الرخوة» يتكلم عالياً ويضحك كثيراً. وكان هو جابوس المجموعة، ذلك الذي كان يعرف كيف يدخل طوال اسبوع في

(٢) دون أبنائها. حرمياً. السيدة آيت

(٣) «ماي دي سانتو» وماي دي سانتو، كونه الصلوات العيشية (أو التسمية) وهي عبادة الأشياء السحرية (للذين الرهي. وهؤلاء الكهنة كانوا له حد سواء، «ماي دي سانتو» أو الرجال، «ماي دي سانتو»، أي بالسط أم القديس أو أبو القديس.

أحدى العائلات، متظاهراً بأنه غلام طبيب صغير اضاعه اهله في الاتساع العدواني للمدينة

وكان اعرج. لُف لاحل ذلك، ذي الرجل الرخوة، لكنه عاد عليه ايضاً بعطف مهتاب عائلات يوربه على عنة مازله، مسكياً حزين المظهر، يستعطي قليلاً من الطعام والمأوى لأحل لينة. والآن وسط المتنوع، كان ذو الرجل الرخوة، يسخر من القط، الذي اصاع بهاراً بطوله في سرقة خاتم بلون نئذي، دون أية قيمة، لأنه ححر مريب ذو جال مريب أيضاً

وكان قد مر اسرع و، القط، قد ابلغ جميع الناس قائلاً. لقد رأيت احد ملك الخواتم الرائعة، يا احبي الكثير، الذي لا يملك منه حتى المطران. انه خاتم ملائم تماماً لأصمعي ملائم كلياً أيها الأخ. وسوف ترى حين سأحضره
- من أنه واجهة زحاحة

- في أصبع احد احمقى وهو شخص بدين جداً يستقل كل يوم قطار بروتانس، في اسفل حي ماباتيرو

وقد عجب، القط، اخيراً وسط الرحلة الشديدة في قطار الساعة السادسة مساءً، في سحب الخاتم من أصبع الرجل الندي، محتجباً وسط المراج والمراج الذي ساد القطار عند صراح الرجل الصخم حين تنس سرقة خاتمه. وأظهر «القط» الخاتم في اصبعه الأوسط لرفاقه من «فرسان النومال».

وكان ذو الرجل الرخوة» يصحك
- هل يمكن لشخص عاقل أن يعرض نفسه للسجن لأحل قذارة كهذا الخاتم. انه صائم قدر

- وماد، يملك أنت من هذا؟ أنا بروق لي هذا الخاتم، وهذا كل شيء.
- امك تجلس هنا كالاخن مع هذه القذارة.
- ولكن بالعكس، فهو لطيف جداً في اصبعي ولدي فكرة أخرى لأسرق خاتماً أجمل منه أيضاً

وكان الفياض يحدنون أيضاً طبعاً عن النساء، ورغم أن اكترهم ساءاً لا يكاد يتجاوز السادسة عشرة من عمره. وكانوا في سن مبكرة يعرفون اسرار الحب. إن بيدرو نالا، الذي دخل، قد حسم المجادلة التي نشبت. وترك حواو غراندي، الاساذ في قراءته، واقترب من الرجم. وكان ذو الرجل الرخوة، يصحك لوحده، متمناً بكلمات في صدد الخاتم. ودعاه بيدرو، واتجها بنسجها حواو غراندي،

عده الرواية حب يوحد - الاستاد
- نعال ادن. ايها - الاساذ

وحلوا اربعتهم واشعل، ذو الرجل الرخوة، غلب سحابة بمساره، وراح يندبها بلده وكان، حواو غراندي، يمحض القسم من البحر الذي كان يرى عبر الباب. وراء الرمال وتكلم بيدرو

- اب غونزليس من الحى (١٤) قد حدثني اليوم.
- هل هو يريد أيضاً سلسلة ذهبية؟ وفي المرة الأخيرة وتوقف، ذو الرجل الرخوة عن الكلام

قال بيدرو: كلا، بل انه يريد قنعة ولكن من اللسد المعبي أما فبعض القش فلا سواى شئاً وهو يقول ان هذه لا يمكن غسلها - وكذلك ..

- مددا ايضاً هكذا: قاطعه مجدداً «ذو الرجل الرخوة»
- وكذلك فإن القبعات المائلة جداً لا تناسب

- إنه يريد معه فاحرة من اللسد. لا عر وعلى كل حال، فتحن نعمل معه في حيازة. ومن لا يجد علينا حتى نمن دوس.

- لا نأمن يا ذا الرجل الرخوة. إذا كنت تريد اسير في المسألة، اذهب. ولكن دعنا نربط المسألة بصورة مصممة وصاحفة

- أأقل انى لا أريد المص في هذه العملية بل اقول فقط ان العمل من أجل حيي يسرق المومسات ليس عملاً مناسباً ولكن اذا كان يروق لك

- إنه يقول بأنه هذه المرة سيكون صحيحاً معاً. وسيقدم ملاً يساوي جهداً. لكنه لا يريد سوى مع من اللسد، فويبه وحديده واسب، «ذو الرجل الرخوة» سوف يصبغ. مع آخر من أناخذ مسألة على عاتقك وعداً مساءً، سيرسل غونزاليس إلى هنا سيحدث من احى ١٤، حمل النقود وأخذ القبعات

- ان المكان المناسب هذه العملية هو دور السها هكذا قال «الاستاد» وهو يندب بحر ذي الرجل الرخوة

- إن سنما - فيكوبوريا، هي مكان يقصده الناس الاعياء واندى ذو الرجل الرخوة، حركة اذراء، ويكنى الاسر الدخول إلى أزوقة لسمها، والعثور على قبعات مالتأكيد. وهذه الدار هي مقصد الناس من دوي البسر والغنى من أعلى سوى من الناس
- وهناك رجال الشرطة أيضاً

هل تملك الشرطة ؟ إن حراس دور السينما يكتفون بالفتوح على الأفلام ،
وممارسة لعبة التخنة

هل تأتي معي أيها الأستاذ ؟

سأتي لا سيما وأنا في حاجة إلى قطة جيدة .

وأضاف بيدرو نالا .

خذ في رفقتك من تريد من الغنيان ، يا ذا الرجل الرخوة . باستثناء الطويل
والقطه الذين لدي معهم مشروع لأجل الغد .

والفت نحو جوار غراندي :

أيها عملي مع حبيب الله الطيب .

لقد سبق وحدثني عنها . وقال إنه جاء هذه الليلة لأجل مصارعة الكابوريا .

والتم بيدرو نحو ذي الرجل الرخوة الذي كان يسحب ليدير مع صاحبه الفتى

سكر الشعير ، تشكيل الفريق من الصبيان الذي سيذهب في اليوم التالي للبحث عن

قبعات . وقال له بيدرو :

انتبه ، يا ذا الرجل الرخوة .

ونبه الغنيان إلى أنه اذا انتصح امر احدهم فعليه أن يفارق هذا المكان نهائياً .

ويجب أن لا يعود إلى هنا اطلاقاً .

وطلب بيدرو سيجارة ، ومد له جوار غراندي واحدة وكان ذا الرجل الرخوة ،

الذي صار بعيداً ، كان يدعو سكر الشعير ، وراح بيدرو يبحث عن القطه ، وكان

يرى أن يناقش معه مسألة عملية أخرى . وعاد اثر ذلك ، وتقدم قرب موضع جلوس

« الأستاذ » واستعاد هذا كتابه ، وظل عاكفاً على قراءته حتى ذابت الشمعة كلياً ،

وغمرت الظلمة ذلك المكان . وسار جوار غراندي ، هدوء نحو الباب ، حيث رقد

بطونه ، والحجر في حزامه .

كان سكر الشعير تخيفاً وطويلاً جداً ، ودا وحه جاف شبه مصفر ، وعينين

غاثرتين محاطتين بالسواد ، وفم فاعر ، قليل الانبسام . وراح ، ذو الرجل الرخوة ، في

السحرة سه ، سائلاً آياه اذا كان قد بدأ صلواته ، ثم تطرق إلى موضوع سرقة

القبعات ، وقد انتفعا على أنها يصطحبان عدداً من الاولاد الذين اختاراهم رعاية .

وعسا مواضع العمليات واعتراقا وذهب سكر الشعير إلى موضعه المعتاد . في إحدى

روايات المستودع ، وكان ينام بصورة دائمة في الموضع الذي تشكل الجدران عنده زاوية

دافئة ، وقد وضع هناك بحان أشياءه وبممتلكاته ، وهي عبارة عن خفاف بال ، ووسادة

مرقها من فندق حيث دخل اليه في أحد الايام حاملاً أمتعة احد المسافرين . وكان

لدى سكر الشعير ، ايضاً ينظرون كان يلبسه يوم الاحد منع كنزة لا يمكن تحديد

لونها ، لكنها نظيفة بعض الشيء ، على كل حال . وكانت هناك صورتان لقديسين

موصوعتان في اطارين ، وهما عمورتان في الجدار ، كانت احدهما صورة للقديس

اسطوان يحمل بين ذراعيه الطفل يسوع المسيح ، (كان اسم سكر الشعير هو اسطوان ،

وقد سمع من يقول ان القديس اسطوان كان برازيلياً) والصورة الثانية كانت تمثل

سيدتنا ذات السبعة آلام ، ذات الصدر المشقوق بالسهام ، ولكن كانت توجد تحت

اطارها زهرة دابلة وتناول سكر الشعير ، الزهرة ، وشمها ووجد انها لم تعد نفوح

بأية رائحة . وحينئذ علقها في الكتفية (وهو نوب يلبسه الرهان على الكنتيفي والظهور

التي كان يرتديها على صدره ، واخرج من جيب ستره قديمة بلبسها ، زهرة قرنفل حمراء ،

قطعها من إحدى الحداثي ، تحت نظر الحارس بالذات ، عند لحظة الغروب الغامضة

ووضع الغرنفلة بعناية وحب تحت اطار الصورة ، في حين راح يتأمل القديسة بنظرة

منفعة بالحنان واطر ذلك على الفور . وكم يصلي . وفي البدء كان الغنيان الآخرون

ينهلون بالتسكيت عليه لرؤيته راكماً في الصلاة . ومع ذلك فقد اعتادوا على مشاهدته

كذلك . ولم يعد احدهم يعير الامر اهمية . وراح يصلي ، وكان مظهره المعبر كزاهد

يرداد ظهوراً . وكانت يداه الطويلتان والتحيفات ترتفعان امام صورة القديسة ، في

حركة عبادة . وكان كل وجه كأنما هو يحاط بهالة وكان صورته يكتب انفساً

وارتعاشات يبعثها رفاقه . وكان يظهر مأخوذاً إلى خارج هذا العالم ، وكأنه لم يعد

داخل المستودع التذاعي والمهد بل في أرض أخرى قرب سيدتنا . ذات الآلام .

السبعة ، بيد أن صلاته كانت مسطه ، وهي لم يتعلمها في كتاب الصلوات : كان يطلب

في صلاته من العذراء مساعدته في أحد الايام لكي يستطيع الدخول إلى تلك الكلية

الدينية (السوردية) التي يتخرج منها الغنيان وقد تحولوا إلى كهنة . وكان ذا الرجل

الرخوة قد رنت تفصيلاً عملية القبعات . واطر رؤية رفيعة وهو يصلي ، تأهب

ليعامله بمزاج طيب . وهو مزاج كان محرد التفكير فيه يدخل السرور والبهجة إلى قلبه ،

وكان يشوش بذلك كلياً صلاة صديقه سكر الشعير ، وحين وصل ذا الرجل

الرخوة إلى قرب المصلي ، ورأه في حاله هدد ، رافعا يديه في حركة عبادة وعباء

مرتفعتان إلى مكان مجهول ، ووجهه نضحي بغيرية الايمان ، (وكان كأنه مغمور بهناء

ويعم لا حدود لها) تنوف « ذا الرجل الرخوة » . وماتت الضحكة الساخرة على

شعبه ، ولث بضفص صديقه ، وهو شبه خائف . وقد اجتاحه شعور يعود بعض

الشيء إلى الرغبة وإلى اليأس. وتوقف ذو الرجل الرخوة، ناظراً، ولم يكن سكر الشعير يتحرك. وكانت شعتهما تتركان ببطء. وكان من عادة ذي الرجل الرخوة أن يسحر همه كما كان يسحر من جميع الصحاب الآخرين. في المجموعة. وحتى من الأستاذ الذي كان يحبه، ومن يبدو بالآ الذي كان يحترمه. وكان كل واحد جديد إلى «فرسان الزمان» يكون لدى وصوله فكرة قاسية عن «ذي الرجل الرخوة»، ذلك لأن هذا الأخير كان يسارع إلى مهرة بقلب، صاحباً إزاء أية عبارة ينطق بها العصور الخديدي. وكان يحول كل شيء إلى موضوع للضحك، وكان من أكثر الغيبيات ولعاً بالتعارك والمشاورة، وكانت شهرته في الحبس راسخة بقوة. وفي أحد الأيام، قام بعملية تعذيب خفيفة ضد قسطنطين دحل إلى المستودع القديم. وفي مرة أخرى، طعن بضربة موس غلاماً في أحد المطاعم وذلك لقطع ليريق منه مروجاً مشوشاً. ولكن رفاق «ذي الرجل الرخوة» قد رأوه يوماً وهو يمشي، يبرود، خراجاً في ساقه بواسطة مطرأة (عريسية) وتحث انظار الجمع قام بذلك العمل وهو يصحك. وفي المجموعة كان كثيرون لا يحبونه. لكن الذين كانوا يعصون النفر عن عيوب «ذي الرجل الرخوة» ويرتبطون معه في صداقة كانوا يقولون عنه أنه شخص طيب». وفي أعماق أعماق قلبه، كان يتألم لأحارهم ومصائبهم جميعاً. وكان وهو يصحك ويسحر، ينش عن اساءة بنفسه. وكان ذلك نائمة اليه مثل عذر. وقد لبث ساكناً دون حركة وهو ينظر إلى «سكر الشعير» مسرعاً في صلاته وعلى وجه انصلي، مرت لمة حماسة شديدة، وشيء حبه مد الله. «وذا الرجل الرخوة» ابتهاجاً أو عطفة لكنه راح يتعرس في وجه الآخر. وعثر به على تعبير لم يكن يعرف كيف يجده، وكان يقلص وجهه الصمير وفكر في أنه ربما لهذا السبب لم يستطع له أبداً في حياته أن يفكر في الصلاة ولا في أن يواجه غير السماء، التي كان يذهب عنها كثيراً الأب جوزيه بيدرو، حين كان يأتي تزيارهم. وكان ما يريد به «وذا الرجل الرخوة» هو السعادة، والفرح والبهجة. وكان الفرار من كل هذا اليأس وهذه النعاسة التي تقوم حوهم وتحققهم. صحيح أنه كانت هناك طعناً الحزن الكبرية للتحنن في الطرق والشوارع الشاسعة الأبعاد. ولكن كان هناك أيضاً لحلي على أية مداعة عطف، وفقدان كل كلام طيب، وهذا كله كان «سكر الشعير» يستح منه في السماء، وفي الصور النقية، وفي الأرهاق الدالة التي كان تأتيها إلى سيدتنا - ذات الألام - السمنة، مثلاً يجعل شاب أيت في المدينة الأرستقراطية باقة الزهور إلى الفتاة التي يحبها، معبداً للزفاف لكن «ذا الرجل الرخوة» لم يكن

يفكر في أن هذا يمكن أن يكفي. وكان ما يريد به هو، شيئاً قورياً، شيئاً يجعل وجهه ناسياً ومتهنئاً، ويجرده من الحاجة والعوز، ويجعله يسخر من الجميع ومن كل شيء. وأن يجرد أيضاً من هذه الغصة وهذا القلق الخائق وهذه الرغبة في البكاء التي كانت تنتابه في ليالي الشتاء. ولم يكن يريد الأشياء التي يسمى اليها «سكر الشعير»: هذه العبيبة الحماجية في وجهه. كان «وذا الرجل الرخوة» يريد الفرحة والبهجة، وبدأ تداعيه، وحشاً ينسبه بكثير من الحب العاهة الجسدية (من عرجه) وجميع هذه السنوات (ورعاً لم تكن هي بالكاد سوى شهر أو أسبوع لكن بالنسبة له تستغل دائماً أعزاً طويلاً) التي عاشها وحيداً في طرقات المدينة وشوارعها. يعامله المارة بقسوة وسخرية، ويهال رجال الشرطة عليه بالضرب، بسبب وبدون سبب، وكذلك الاشتباه الأكبر سناً. ولم تكن له أبداً عائلة وقد سكن في منزل خياز كان هو - يتأديه، يا عرابي! لكن هذا كان يضربه بشياً. وقد فر من ذلك المنزل منذ أن استطاع أن يذهب أن الفرار يمكن أن يجرد. لقد عانى الجوع، ثم في أحد الأيام ساقوه إلى السجن، كان يريد مداعة حنان، وبدأ يحمو من عينيه ذكريات تلك الليلة في السجن، حين جعله الحنود السكارى يركض على رجله العرجاء داخل أحوال الغرفة. وفي كل زاوية كان يوجد شخص مسلح مهراوة من المطاط الصلب، والآن التي تركتها هذه الهراوات على ظهره قد امتحت، ولكن في أعماق نفسه لم يمح أبداً الألم الذي أصابه في تلك اللحظة كان يركض في الغرفة مثل حيوان نظارده حيوانات أخرى أقوى منه. كان يجد صعوبة في تحريك ساقه العرجاء، وكان سوط المطاط يثر على ظهره حين كان التعب يجرد على التوقف بآدى، يده يركض كثيراً، ثم ودون أن يدري كيف جفت دموعه. وفي لحظة معينة، لم يعد يطبق فيها الضرب الذي يناله، سقط منهارة على الأرض. كان لحمة المشرف يرف دماً، وما زال حتى اليوم، يسمع ضحك الجبود وضحكة ذلك الرجل ذي الصدر الرعادي الذي كان يدخل سيجاراً. وائر ذلك، التقى بمرسان الرومال، (وه الأستاذ هو الذي جاء به، بعد أن نشأ بينهما تآلف على مقعد في حديقة) وبقي سبهم. ولم يطل به إلا حتى تميز ذلك لأنه كان يعرف، أفضل من أي شخص آخر، اصطلاح الم تحديق، وبذلك يجمع البهورات (وراث المسازل) اللواتي كان يبرور بوسن بعد ذلك أفراد العصابة الذين كان قد اعلمهم بجميع المواضع التي تحتوي على النساء النسبة، وبكل عادات المنزل. وكان «وذا الرجل الرخوة» يحس بارتياح حقيقي حين يصور كم سوف تلتهم هؤلاء النساء اللواتي حسنه يتأ سكيناً هكذا كان يتأ، لأن فله كان مليئاً بالحنف والبعضاء. كان يحس برغبة سواء في امتلاك قنلة (مثل

تلك القنابل التي ورد ذكرها في قصة رواها لهم (الاستاذ) قبله تستطيع أن تدمر المدينة كلياً، وأن تنسف العالم بأسره. وعلى هذا النحو سوف يكون سعيداً. وربما سيكون سعيداً أيضاً إذا جاء شخص، ربما امرأة ذات شعر وحطه الشيب، وبتين ناعمتين، تشده على صدرها، وتداعب وجهه وتجعله ينام نوماً هيناً، نوماً لا تعكره كوابيس ليلة السج. على هذا النحو سيكون سعيداً، ولن يقيم الحقد قلبه بعد ذلك. ولن يشعر بعد ذلك بالازدراء ولا بالخذل، ولا بالغيضاء ضد «سكر الشعير» الذي يفر، رافعاً يديه إلى الأعلى، بعينين ثابتتين، من عالم الآلام نحو عالم عاليه يكشف عنه احاديث الالب جوزيه بيدرو.

اقتربت جلبة اصوات. ووصلت جماعة من اربعة غلمان تشق السكون السائد لي ليل المستودع. قفز «ذو الرجل الرخوة» ضاحكاً وراء ظهر «سكر الشعير» الذي استمر يصلي ودمع كفيه وقرر أن يترك إلى صباح اليوم التالي تعذيب تفاصيل سرقة القبعات. ونظراً لأن «ذو الرجل الرخوة» يخشى النوم، فقد تقدم نحو جماعة الغلمان التي وصلت، وطلب سيجارة، معلقاً ببعض النكات حول قصة المرأة، التي كان يرويه الغلمان الأربعة: - صيصان سر طرازكم، من يمكن أن يصدق بأنكم قادرون على بطع امرأة؟ لا بد أنها خالة لمبية تلس ثياب بيت صغيرة...

غضب الآخرون.

- لا تتظاهر بالمر والبطاوة على كل حال. اذا شئت نعال لثرى معنا، وهكذا سوف نتعرف إلى البنت التي تشكل قريبة جيدة. صحك «ذو الرجل الرخوة»، ساخراً.

- اني لست من مكافحي الجرائم... ومضى إلى عمق المستودع.

لم يكن «القط» قد نام بعد انه يخرج دائماً بعد الساعة الحادية عشرة، انه الغلام الانيق في الحياجة. وعند وصوله وهو غلام ابيض ووددي، حاول «الشارب اللطيف» الاستيلاء عليه، ولكن منذ ذلك الحين، كان «القط» ذا رشاقة وخفة هائلتين، ولم يكن نادماً، كما كان يظن. «الشارب اللطيف» من عائلة برحوازية بل كان «القط» قادمًا من الهود المالكيريوس، وهم اولاد يعيشون تحت جسور اراكاجو، المدينة البرازيلية. وقد قام برحلته متعلقاً بمؤخرة أحد القطاوات، وكان مطلعاً على الحياة التي يمكن أن تعيشها جماعة من الاولاد المشردين. وعلى كل حال، كانت سنة تربو على ثلاثة عشر عاماً. استمل موراً السب الذي عامله من أجله «الشارب اللطيف» باحترام كبير. وكان «الشارب اللطيف» خلاصياً مربع القامة، قسح الشكل، قدم

للعلام الواحد حديثاً سائحاً وأعطاه شيئاً من غذائه وارتابه المدينة معه. واثراً ذلك، اشتركا في سرقة خذاء جديد كان معروضاً في واجهة دكان في حي الكندرجية، وقال «الشارب اللطيف»:

- كن مطمئناً، أنا اعرف أين يمكن أن يبيع هذا الخداء.

التي «القط» نظره على خذائه البالي.

- كنت بالضغط أريد أخذ هذا الخداء لي. لقد بدأت احتاجه...

- أنت أنا أرى أن خذائك ما زال جيداً تماماً... وهكذا صباح «الشارب اللطيف» والذي كان نادراً ما يلبس خداء، وكان حامياً في ذلك الحين.

- سأدفع لك - نحن حصتك. ما رأيك؟

ألقى «الشارب اللطيف» نظره على رفيقه. كان «القط» بلس عقدة رقبة، وسترة مرقعة، وشيء هائل! كان يلبس خداء «حوريرين».

فقال له «الشارب اللطيف» باهتمام: أنت تغامر بالاناقة، اليس كذلك؟

- انني لم أولد لأجل هذه الحياة. لقد ولدت لأعيش في العالم العظيم، هكذا قال «القط» مردداً عبارة سمعها يوماً من خرباب (تشديد الواو) تجاري، في احدى حانات اراكاجو.

مؤكد أن «الشارب اللطيف» كان يرى «القط» لطيفاً فائناً. كان هذا ذا هية نزقة. ومع أن جماله لم يكن انشويًا، فقد كان يروق له «الشارب اللطيف» الذي، على كل حال لم يكن يروق للنساء كثيراً، ذلك لأنه كان قصيراً ونحيفاً فكان يظهر اصغر بكثير من سن الثلاثة عشر عاماً، التي هي سنة فعلاً. أما «القط» من جهته، فكان طويل القامة، وهو في الرابعة عشرة من عمره، وقد بدأ زغب ناعم ينبت على شفتيه، وكان يحس به كثيراً.

ورأى «الشارب اللطيف» أن من الأفضل أن لا يلج في التقرب إلى الغلام، لكي لا يشتر حوفه. لم يكن يعرف أي شيء عن «القط»، ولم يكن يتصور أن هذا يدرك مقصده تماماً. وأنه يتقرب إليه لكي يملكه.

ساراً معاً هزيعاً من الليل، وهما ينتظران إلى أضواء المدينة، (كان «القط» مذهباً في الواقع)، وحوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً، عادا إلى المستودع. وقدم «الشارب اللطيف» «القط» إلى بدور، واصطحبه أي «القط» - إلى حيث ينام.

- لدي عطاء هنا، وهو كبير بحيث نسمح لنا نحن الاثنين.

وقد «القط» وتحدث «الشارب اللطيف» إلى حائه. وحين ظن أن الآخر قد أغفى،

احاطه باحد ساعديه ، وبالساعد الآخر بدأ بلطف بتجريد من لبايه ، وبمضغ عين ، نهض « القط » واقفاً .

— انت غطان يا حلاسي . فأتا رجل !

لكن « الشارب اللطيف » لم يبال باحتياج « القط » . لم يكن يرى سوى رغبته ، ورغبته في حسد « القط » الابيض الوردي ، كان يريد أن يدس وجهه في شعر « القط » وأن يحس صدره : « رخصه » وإلتية (طبعاً!) . فانتقض عليه مصمماً على بطحه واعتصابه ، لكن « لعد » قاومه شدة ، ودفعه عنه بعيداً ، فانبطح « الشارب اللطيف » على وجهه . وكان العلما قد اجتمعوا حول الصبيين المتصارحين .

— لقد اعتبرني « موضوعاً قابلاً » للواط . اليك عبي يا عد . !

وجر « القط » غطاء « الشارب اللطيف » نحو زاوية أخرى ، وأخذ إلى النوم . وبقي العلما مختصمين بعض الوقت ، ثم نصالحا والآن حين كان « القط » يمل من صدقة صميرة ، كان يبطئها إلى « الشارب اللطيف » .

في إحدى الليالي ، كان « القط » ينتزه في شارع الموسسات ، وكان شعره يلمع برياين رخيص ، وعقدة الرقبة معقودة حول عنقه ، وهو يصغر كأنه أحد غلمان المدينة المعسودين . كانت السماء ينظرون إليه ويضحكون

— انظروا إلى هذا الديك الصغير . من أي شيء جاء يبحث هنا ؟

كان القط يرد على الانسامات ، ويتابع طريقه .

كان ينتظر أن تدعوه أحداً من ليارس معها الحب . لكنه لم يكن يريد أن يجامعها لقاء نفرد يدفعها لها . ليس فقط لأن ثروته لم تكن تتجاوز الألف وخمسة مائة ، وريس ، بل أيضاً لأن « فرسان المال » لا يحبون دفع المال للساء . وكان لديهم الزمخيرات الصميرات . في س السادسة عشرة ، اللواتي كانوا يجامعونهن على الرمال

لم يكن هناك مجال للشك : فالنساء كن يمتعن موجه الصبياني كن يريه وسياً في صباه الفاسد ، ويحب أن يمارس الجماع معه . لكنهن لم يكن يدعونه لأن الوقت كان وقت التفكير في المنزل ، وفي عداء الغد لذلك كن يكتفين بالصحك والمزاح . وكن متأكدات من أنه يصبح يوماً من الايام احد أولئك القوادين الذين يملأون حياة امرأة ما ، يأخذون مالها ، ويفسرونها . لكنهم محبونها أيضاً كثيراً من الحب . كثيرات منهن حين أن يكن امرأة الأولى لهذا الشقي الشاب لكن الساعة كانت العاشرة وهي ساعة الرجال الذين يدفعون المال . وكان « القط » يسير مس ساجية إلى اخرى ، بلا جدوى . وحسب نبح « دالفا » القادمة من الشارع . عارقة في معطف من القرد ، بالزخم

من هذه الليلة الصيفية . وتحاورته دون أن تراه تقريباً . كانت امرأة في حوالى الخامسة والثلاثين ، مليئة الجسم بل بدنية ، وذات وجه شهواني جداً . وسرعان ما اشتهاها « القط » فتمتعها ، وراها تدخل إلى بيتها دون أن تلتفت إليه . وبعد لحظة ، ظهرت من النافذة ، وصعد « القط » ، في الشارع ، ثم هبط عائداً ، لكنها لم تمنحه أية نظرة ثم مر رجل عجوز ، ودعته ، فصعد إلى بيتها . وواصل « القط » الانتظار ، لكنها ، حتى بعد خروج العجوز سريعاً ، ساعياً لأن لا يراه أحد ، لم تعد إلى النافذة

وليل بعد ليل ، كان « القط » يعود إلى نفس المكان ، في الشارع ، ليجرد أن يراها فقط . والآن ، أصبح كل المال الذي يحصل عليه « القط » من السرقات والاختلاس يبعده على شراء بدلات مستعملة ، ليجرد انفاقه . كان ينصف بأنفاقه المستكمين (الارباش) الكامنة أكثر ، في طريقة المشي ، وإمالة القبة ، وربط عقدة الرقبة بصورة مهمة . منه في الملابس يجد ذاتها . كان « القط » يشتكي « دالفا » بنفس الطريقة التي يشتكي فيها الأكل حين يجمع . أو النوم حين ينفس . وكان قد كف عن الاستجابة لدعوات النساء الاخريات . اللواتي بعد أن حصلن على مصروف الغد ، أصبحن يردن الآن ممارسة الحب مع هذا العلما الشقي . مرة فقط خلق باحداً من ذلك فقط بقصد الاستسلام عن حياة « دالفا » . عى هذا السحر علم من تلك المرأة أن « دالفا » عشيقاً ، وهو عازف ناي في احد المقاهي . وكان يأخذ منها النقود التي تكسبها . وكان أيضاً يسكر في بيت عشيقته سكرأ شديداً . بحيث كان يعتقد حيوات جميع موسسات المنزل . كان « القط » يعود كل ليلة ولم تمنحه « دالفا » أبداً أية نظرة . وهذا كان حه لها مرداد . كان يقضي اوقاته في انتظار محض ، حتى النافذة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل ، وحين كان عازف الناي يأتي . فيقبل « دالفا » من النافذة ، ثم يدخل من انباص . السى الاضاءة . حينئذ كان « القط » يعود إلى المشروع . والافكار تغلي في رأسه . ماذا لو أن عازف الناي لم يأت في إحدى الليالي ،... وماذا لو أنه مات ؟ .

لقد كان ضعيفاً ، ولعله لن يستطيع أن يحمل قوة « القط » الذي هو في الرابعة عشرة من لعمر . وبعد العلما على المراسي التي كان يحملها تحت قميصه وفي إحدى الليالي ، لم يحضر عازف الناي . وفي تلك الليلة ، هامت « دالفا » في السوارع على وجهها . كالجنونة . وعادت في ساعة متأخرة إلى بيتها . ولم تستقبل أي رجل . ووقعت الآن في النافذة . رغم أن الضربات الانتي عشرة المملنة نصف الليل كانت قد دقت منذ زمن طويل . وشيئاً بشيئاً حلا الشارع من المارة ، ثم لم يبق أحد ما عدا « القط » في رايته . و « دالفا » التي كانت ما تزال تنظر في نافذة كان « القط »

يُعلم أن هذه الليلة هي ليلته، وأحس بالساعدة وفقدت دالعا، كل أمل بحضور عتيقها عازف الناي. حينئذ راح «القط» يحيطر ذهاباً وإياباً في الشارع. إلى أن لاحفته المرأة، وأومأت له فاقترب فوراً، وأبتم لها.

- أأنت الديك الصغير الذي يظل كل مساء في زاوية الشارع؟
- إن الذي يظل كل مساء في زاوية الشارع هو أنا! أما قصة الديك الصغير

هذه.

أبتمت المرأة في أمسي وقالت له «القط»:
- هل تريد أن تُزدي في خدمة؟ سوف أعطيك شيئاً ما. ثم فكرت اثر ذلك، وقامت بإيماءة.

- لا. لا بد وأنتك تنتظر صديقك، ولن تريد أن تضع الوقت.
- بلى. استطع إن التي انتظرها لن تأتي بسرعة.
- إذن، أريد يا علامي الصغير، أن تذهب إلى شارع روي - باربوزا، الرقم ٣٥
اسأل عن السيد غاستون. إنه في الطقة الأولى. قل له أنني في انتظاره.
ذهب «القط» وهو يحس بالأهانة. وفكر في البدء بأن لا يذهب، وأن لا يعود أبداً لرؤية «دالعا»، لكنه اثر ذلك قرر أن يذهب، لكي يرى عازف الناي عن قرب أكثر، هذا الذي يتجاسر على التحلي عن امرأة جميلة جداً مثل «دالعا». ووصل إلى الساية (وهي عبارة سوداء، مؤلفة من عدة طقات)، وارتقى السلم، وفي الطقة الأولى، طلب إلى علام كان راقداً في الرواق أن يدلّه على غرفة السيد غاستون فأشار الصبي إلى الباب الاخير. دق «القط» الباب. ففتحه عازف الناي: كان في اللباس السلي. وفي السرير، لاحظ «القط» امرأة نحيفة. وكان كلاهما ناعس. وقال «القط»:

- أنا قادم من عند «دالعا».
- قل هذه العارضة أن تدعي سلام. لقد قوت منها.
ووضع الرجل يده المتوجة على عنقه وقالت المرأة من داخل الغرفة:
- من هو هذا العلام الخميل؟
احابها عازف الناي - لا تدخلني أنت!...
ثم أضاف بسرعة
- انها رسالة من تلك المومس «دالعا» المعجوز. إنها تكاد تموت لكي اعود اليها.
صحكت المرأة صحك السكران الندل وقالت:

- أما أنت فلم تعد تريد الآن سوى حبيبك الصغيرة «بيبي»، أليس كذلك!
تعال واعطني قلة. أيتها الملك بدون اجنحة.

صحك عازف الناي هو أيضاً وقال:
- أرايت أيتها الرجل الصغير؟ قل هذا له «دالعا».
- رأيت. في الواقع... انها (يقصد المرأة النحيلة) جلد حاف، مثل عصا باسة أجل يا سيدي، يا اللغات الاسود الذي تنقلته، اليس كذلك، أيتها الرفيق.
- لا تتكلم عن خطيبي
اجابه عازف الناي بلهجة جديدة:

ثم سارع إلى القول
- أنريد أن تشرب كأساً؟ إنه كحول قصب السكر. وهو ممتاز. دخل «القط»، وغطت المرأة التي على السرير جدها. واستمر عازف الناي في الضحك.
- إنه فوخ حمام صغير، فقط. لا تخافي.
وقال «القط»: ومع ذلك، فهذا الجلد البابس لا يخبرني أنداً في الحقيقة، كلا. انه لا يميز في إطلاقاً.

واحتسى «القط» كأس الخمرة المصنوعة من نفل قصب السكر، كان عازف الناي قد تمدد على السرير، وراح يقبل المرأة. ولم يلاحظ العشيقان أن «القط» انصرف، حاملاً بحفظة المومس، التي كانت موضوعة على الكرسي، فوق الملابس. وفي الشارع، احصى «القط» ٦٨ ألف ريس. وضع النقود في جيوبه وألقى بالحنطة على الدرج. ومضى وهو يصغر نحو بيت «دالعا».

كانت «دالعا» تنتظره في النافذة. وثبت «القط» بصره عليها.
- لقد جئت...
ودخل دون أن ينتظر الجواب. ومن الرواق، سأته «دالعا».
- ماذا قال؟
- سأقول لك في الغرفة. دليتي على غرفتك.
دخلوا إلى الغرفة. كان أول شيء رآه «القط» هو صورة فوتوغرافية لعاستون وهو يعرف على الناي، ويرتدي ثوب سموكس وجلس «القط» على السرير، وراح ينظر إلى صورة غاستون. كانت «دالعا» تحدق النظر اليه، مذهولة، واستطاعت بصعوبة أن تسأله مجدداً:
- ماذا قال؟

أجاب ، القط :

- اجلسي هنا وأشار إلى السرير .

وهست قائلة : هذا الديك الصغير .

- اسمعي ، يا أرتني الصغير . لقد أهملتك وتعلق بامرأة أخرى . اتبريني ؟ لكنني أهملها لأنني معاً . ثم نمت ورش الموس العجوز . ودس يده لي جيبه ، وأخرج النقود .

- سوف نقاسم هذه النقود .

- آه ! إنه مع امرأة أخرى ، أليس كذلك ؟ لكن سيدي موفقم سيجعلها مثولين كليهما . فديسي هو سيد موفقم ! إنه سيدي .

وانتهجت نحر صورة القديس . وأبلغته امتيتها ، وعادت :

- احتفظ بقودك . لقد كسبتها عن حق .

وأردف ، القط قائلاً : اجلسي هنا . وعانقها ، وألقاها على السرير . ثم راحت تئن من اللذة ، وتحت وقع الصعقات التي كان يسدها إليها ، قالت هامة :

- هذا الديك الصغير هو ربح حقاً ...

نفس ، القط ، وسوى نطاله ، واتجه نحر الموضع الذي فيه صورة غاستون عازف الباي ، ومرقها .

- سوف التقط صورة لي ، لكي تضعها هنا ، مكان صورة غاستون . راحت المرأة تصحك ، وقالت

- تعالي إلى هنا ، يا أرتني السكري . يا لك من شقي ، تنكون ! سوف اعلمك أشياء كثيرة . يا دثي الصغير

وأقبلت باب العرفة . وخلع ، القط ، ملابسه .

وعندما كان ، القط ، يذهب كل مساء عند منتصف الليل ، ولا ينام في المستودع . وكان لا يعود إلا في صباح اليوم التالي ، للذهاب مع صاحبه الآخرين للقيام بمغامرات النهار .

اقرب ، ذو الرجل الرخوة ، وقال مازحاً :

- الآن سوف تربوا الخاتم ، أليس كذلك ؟

- هذا لا يعبئ

كان ، القط ، يدهن سيماراً .

- هل تريد أن تأتي لترى ما إذا كان يمكن ان تقوم بضربة ؟ يا لك من شخص خائب !

- إنني لا أرتاد مخزن الخلود انني اعرف أين اعثر على الاشياء ذات القيمة لكس ، القط ، لم يكن يروق له أن يرددش ، وتابع ، ذو الرجل الرخوة ، جوله في

أرجاء المستودع

استند ، ذو الرجل الرخوة ، إلى الحدار وترك الوقت يمر . ورأى ، القط ، يخرج حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف وابتم لأنه غسل وجهه ، ودهن شعره بالزيت ، وسار بتلك المشية المترنحة التي يتسم بها الاشقياء ، والبحارة . واثر ذلك ، ظل

، ذو الرجل الرخوة ، وقتاً طويلاً ينظر إلى الاولاد النائمين . كان هناك حوالى خمسين ولداً . بدون آباء ولا أمهات وبدون آسياد عليهم . ولم يكن لديهم حوية عدا حرية التسكع في الشوارع . وكانوا يعيشون حياة ليست سهلة دائماً . ويعتزون على ما يأكلون

او على ما يلبسون ، سواء بجمل حقية ، أو باختلاس بحافظ وقصات ، أو بنهديد الناس . وأحياناً باستجداء الصدقة . وكانت الجماعة تضم ما يزيد عن مئة ولد ، ذلك

لأن كثيرين منهم لم يكونوا ينامون في المستودع ، بل كانوا ينتشرون تحت اشواط باطحات السحاب ، وتحت اجسور ، وفي الزواريق المقلوبة على رمال مرفأ الخشب ، ولم

يكن احد منهم يشكو . وأحياناً كان يموت ولد منهم بمرض لم يعرف علاجه احد . وحين كان يأتي الأب جوزيه بيدرو أو المامي - دي سانتو دون آتينا ، أو أبصاً ،

المحبوب من الله الطيب . كان المريض يحصل على دواء . بيد أن تلك الحال لم تكن مثل حالة الولد الذي يعيش في بيته . كان ، ذو الرجل الرخوة ، يفكر فكان يرى أن

سبحه هذه الحرية صغيره جداً مقابل نؤس هذه الحياة . حين سمع حركة الفتى . في وسط السى . كان ينهض شخص ما . وعرف ، ذو

الرجل الرخوة ، فيه الزنجي الصغير باراندادو ، الذي كان يتحج بحذرة نحر الرمال ، خارج المستودع . ومن ، ذو الرجل الرخوة ، أن الصبي الزمعي سوف يجني شيئاً ما ،

مرفقه ، ولم يكن يريد أن ينطلع صحبه عليه . وكان هذا جريمة ضد قوانين العصابة . اقضى ، ذو الرجل الرخوة ، اتراراندادو ، وهو طبق طريقته بين الصبيان النائمين . كان

الزنجي الصغير قد احتاز الباب ودراج يدور حول السنى من ساحة البازار . هناك في الأعلى ، كانت السماء المملأى بالبحوم . والآن كان باراندادو يبحث خطاه ، ولا حظه ، ذو

الرجل الرخوة ، أن الصبي الزمعي كان يتحج نحو زاوية المستودع الأخرى ، هناك حيث كان الزمل أكثر نومة ابصاً فاتحه عندئذ في الاتجاه المعاكس ووصل في الوقت

المناسب ليرى باراندادو بضطرم بشخص آخر . وقد عرفه على الفور . كان هو المهرج ، احد افراد العصابة ، وعمره ١٢ عاماً ، وهو ولد ندين وكسول . واستطاع ، ذو الرجل

الرخوة، أن يلتقط بعض العبارات. كان احدها يقول « يا غلامي الصغير، يا غلامي الصغير، تراحم، ذو الرجل الرخوة، وازداد قلقه. كان الجميع يسمعون إلى الداعية، وشيثاً غربياً عن هذه الحياة: الأستاذ في كتبه التي كان يقرأها طرول الليل، و« القطع في سرير امرأة عاهرة تنفق عليه، و« سكر الشعر، في الصلاة التي كانت تغمر شكله وهيبته، و« باراداو والميرو في الحب، على رمال الساحل. وأحس « ذو الرجل الرخوة » بأن القلق مستول عليه، وأنه لا يستطيع أن يتنام. فلو نام، فإن جميع كوابيس السجن ستعود إليه لتلثم نفسه رعباً. كان يمتنى بشدة أن يظهر شخص ما، يستطيع هو، أي « ذو الرجل الرخوة »، أن يعيده بالسخوية منه. وكان يمتنى أن يجرى شجاراً. وفكر لحظة في أن يشعل عود ثقاب على ساق أحد الصبيان الراقدين. لكنه حين يقف إلى باب المستودع، لم يعد يشعر إلا بمع وبرغبة مجنونة في الفرار. وخرج راكضاً عبر الرمال، راكضاً كيفما اتفق، هارباً من قلقه. وأيقظت بيدرو بالا صحة قريبة جداً منه. ورأى ولداً ينهض ويقرب باحتراس من الراوية التي كان يرقد فيها « سكر الشعر ». وفي نصف الانغماء الذي كان فيه، حسب بيدرو ما لا شأن الأمر يتعلق بمجالة لواط. وظل منتهماً لكي يطرد الغلام المسلم للواط من العصابة، لأن أحد قوايين هذه العصابة كان عدم القول أبدأ بوجود لواطٍ سليم في صفوف المجاعة. لكنه استنطق تماماً، وسرعان ما تذكر أن هذا مستحيل، ذلك لأن « سكر الشعر » لم يكن من هؤلاء. إذن، لا بد أن السألة تتعلق بسرعة. وفعلًا كان الولد قد فتح حقيبة « سكر الشعر ». فانقض بيدرو بالا عليه، كان الصراخ سريعاً. استيقظ « سكر الشعر » لكن الآخرين كانوا نائمين.

هل تقوم يا محامد صاحب لك مجدداً؟

ظل الآخر صامتاً، وهو يحك ذقنه المجرّحة. تابع بيدرو بالا كلامه قائلاً:

غداً سوف تنصرف من هنا... لم أعد أريدك معنا، انصرف مع صبيان ايزكيبيل، الذين يقضون الوقت يسرق بعضهم البعض الآخر...

كنت أريد فقط أن أرى.

ماذا كنت تريد أن أرى بيدريك؟...

أقسم أنني كنت أريد فقط رؤية هذه المادية التي لديه.

رتب قصتك كما ينبغي أو انزلت بك عقاباً شديداً...

وتدخل « سكر الشعر »:

دعها يا بيدرو. يمكن تماماً أنه كان يريد فقط أن يرى مدينتي. إنها مادية

اعطاني اياها الاب جوزيه.

نعم، هذه هي الحقيقة، كنت أريد أن أراها فقط.

لكن كان يرغش من الحرق. كان يعرف أن حياة مطرو من بين فرسان الرمال تصح صفة فهو إما أن يدخل في عصابة ايزكيبيل التي تقضي أوقاتها في السجن، أو أنه ينتهي به الأمر إلى دخول الإصلاحية.

تولى « سكر الشعر » الدفاع عنه مجدداً، وعاد بيدرو بالا إلى قسرب الاستاذ. وحشد قال الصبي. وصوته ما زال مرتجفاً:

سأقول لك كل شيء أعرف، إنها فتاة صغيرة رأيتها اليوم. كانت في مدينة « باي » وكنت قد دخلت إلى منزلهم لأسرق صدرة، حين وصلت وسألني عما أريد، حين رحا نادردي، وقلت لها انني في الغد سأحضر لها هدية. لأنها كانت لطيفة، لطيفة جداً معي. هل فهمت؟

والآن اخذ يصيح، بشدة، حتى ليقظ أنه مسعود

تناول « سكر الشعر » المادية التي اعطاها له الأب حوزيه، وراح يتأملها باعجاب ووحدة، مدحا نحو الغلام الصغير.

حذ اعطها لها. ولكن لا نقل شيئاً لبيدرو بالا.

دخل « الكوع اليابس » إلى المستودع في حين كان الفجر يشرق. وبور ابيض يجتاح اعراق السه. وكان شعر خلاصه سرياً (٥) مبروشاً نحو الأعلى. وكان يجتدي بجدها قماشاً للرياضة، مثله يوم نزل من « الكاتفا » (٦). وانعكس وجهه القاسم في داخل المسمى وخطا فوق حسم الزنجي حواو غراندي، ويصق إلى أبعد، وأمر رجله فوقه. كان يحمل صحيفة مشدودة إلى صدره. وشمل القاعة كلها بنظرة، كأنه كان يبحث عن شخص ما. وما أن تبين الموضوع الذي يوجد فيه « الأستاذ » حتى أخذ الصحيفة بين يديه الخشيش الكبيرتين. ودون أن يولي اهتماماً للوقت غير الملائم، انجم نحوه صالماً:

يا « استاذ » يا « استاذ »!...

ماذا هناك؟

كان « استاذ » شبه مائم.

أريد شيئاً ما...

(٥) سيرتو داخل البرازيل.

(٦) « الكاتفا »: منطقة صحراوية في « سيرتو » (داخل البرازيل) مطعنة بالصار.

جلس « الأستاذ » . وكان وجه « الكوع اليابس » القاتم غير مرئي تقريباً في الظلام .

– أهدأ أنت ايها « الكوع اليابس » ؟ ماذا تريد ؟

– أريد أن نقرأ لي اخبار لاميباو ^(٧) الواردة في « الكونتيديان » (الجريدة

اليومية) . وبوجد صورة له أيضاً .

– دع الصفحة لكي أقرأها غداً .

– أقرأها اليوم ، وأنا ، سوف اعلّمك غداً كيف تحاكي زقزقة الكناري تماماً

بحث « الأستاذ » عن شمعة ، واشعلها ، وراح يقرأ مقال الصحيفة . لقد دخل

لاميباو إلى إحدى قرى ولاية ناهيا ، وقتل ثمانية جنود ، واغتصب عدة فتيات ، ونهب

خزائن المحافظة وأضاع وجه « الكوع اليابس » القاتم ، وانفتح بابتسامة فمه المطبق .

كان سعيداً حين ترك « الأستاذ » الذي اطفأ الشمعة متوجهاً نحو زاويته . وأخذ معه

الصحيفة لكي يقطع صورة عصاة لاميباو . وفي روحه كان يتصاعد نهار ربيعي .

باب البحر لابورتا دو مار

انتظروا رحيل الشرطي . وتوقف هذا متفحصاً السماء ، باحثاً بنظره في الشارع

المقفر ، واختفى الترام عند المعطف كان هو ، في هذه الليلة ، آخر ترام على خط

بروتاس . اشعل الشرطي سيجارة . وبسبب الريح التي كانت تهب ، اشعل هذا ثلاثة

عدان . ثم رفع باقة معطفه يقي جسمه من البرد الرطب الذي كانت الريح تحمله من

المزارع التي تتأرجح فيها أشجار المانغا والزعرور الأميركي . انتظر العلمان الثلاثة رحيل

لشرطي لكي يتفلقوا إلى الجانب الآخر من الشارع والدخول إلى الدرب المسدود غير

المسلط . ولم يستطع « حبيب الله الطيب » الحضور . لقد قضى طوال فترة بعد الظهر في

« بورتا دي مار » ينتظر الرجل الذي لم يحضر . ولو حضر هذا الرجل ، لكان ذلك

اسهل ، ذلك لأنه مع « حبيب الله الطيب » . - الذي كان يدين له بأشياء كثيرة - لم يكن

بحاجة للنقاش . لكن الرجل لم يأت ؟ كان الشئ كاذباً بالنسبة كسيد ، وعلى « حبيب الله

الطيب » أن يعاود السفر هذه الليلة بالذات . كان ذاهباً إلى اينتاباريكا ، أثناء فترة بعد

الظهر ، نحو ارض صغيرة كانت موجودة في عمق « بورتا دي مار » (باب البحر) .

كان « القط » يبيء نفسه ليصبح بعد حين مصارعاً قادراً على أن يحابه « حبيب الله

الطيب » بالذات .

إن بيدرو بالا ، هو أيضاً كان يكشف عن استعدادات كثيرة . وأقل الثلاثة رشاقة

كان حواو عرادي ، لكنه كان ممتازاً في معركة يستطيع أن يستخدم فيها قوته البدنية

الحارقة . وحتى في حالته تلك ، كان على مقدرة كافية للتخلص من خصم أقوى بأساً

منه . رحين نعووا ، دخلوا إلى الحانة . وطلوا أربعة كؤوس من النبيذ . وأخرج « القط »

ورق اللعب من جيبه ، وهو ورق لعب مدعش ، دقيق ، ذو أوراق خشنة . كان « حبيب

الله الطيب » يؤكد بأن الرجل سيحضر . إن الرفيق الذي بلغه النبأ - أي « لحبيب الله

الطيب » - كان شخصاً موثقاً به . كانت هذه الصفقة ستعود بمكاسب كبيرة ،

و « حبيب الله الطيب » كان يعصل أن يساعده « فرسان الرمال » أصحابه ، الذين هم

أفضل من زعران الرمال . كان يعرف أن « فرسان الرمال » هم أفضل من رجال كثيرين

(٧) لاميباو : قاطع طرق مرابط شهير (ملاحظة من المترجم) .

وانهم يحفظون السر جيداً. كان « باب البحر » مقفراً تقريباً في هذه الساعة. كان هناك فقط عماران يجتنبان الريح. في داخل الحانة. وهما يدرشان وضع « القط » ورفى اللعب على الطاولة وقال

« من الذين يشاركون في جولة؟ »

تناول « حبيب الله الطيب » ورق اللعب وقال: إنه أكثر من مشغوش بعلامم خاصة، يا صديقي « القط » إنها لعبة مشوشة تماماً، ومصوغة تماماً أيضاً.

« إذا كان لديك ورق غيره، فهذه سيان بالنسبة لي.

« كلا. فلتلعب هذا الورق.

بدأوا باللعب. كشف « القط » عن ورقتين على الطاولة، وأخذ الآخرون يراهنون على واحدة منها، وكان البنك (مال المقامرة) مع الثانية. يادي. بدءاً، كسب بيدرو بالا، و - حبيب الله الطيب -، ولم يشترك في اللعب جواو غراندي (كان يعرف جيداً تلاعب « القط » بالورق)؛ كان يكفي بالتفرج، فباحكاً بكل أسنانه البيضاء حين كان « حبيب الله الطيب » يقول إن الحظ يحالفه هذا النهار لأنه عيد كسانغو، شقيقه. كان يعرف من جهته أن الحظ لا ينتم إلا إلى البداية، وأنه حين سيبدأ « القط » بالكسب، فلن يتوقف بعد ذلك، أبداً. وفي فترة معينة، بدأ « القط » يكسب. وعند الانتصار الأول، قال بصوت حزين بعض الشيء:

« لقد حان الحين تماماً إن معي أوراقاً ممتازة وحق الشيطان!

وضع جواو غراندي ابتسامته الأكثر أيضاً... وكسب « القط » كذلك. نهض بيدرو بالا ووضع في جيبه النقود التي كسبها. ونظر « القط » إليه في قلق:

« ألى تصعب شيئاً أيضاً؟ »

« آلا لا، أما ذاهب لايول... »

وانحى نحو عمق الحانة. واستمر « حبيب الله الطيب » يجلس. كان جواو غراندي يضحك، وكان لاعب الكابويرا ينتار. وعاد بيدرو بالا، ولكنه لم يعد إلى اللعب. كان يضحك مع جواو غراندي. وتغلى « حبيب الله الطيب » عن كل ما كسب، وقال جواو غراندي من بين أسنانه:

« سوف يسر الرأسال.

« ولا حظ « القط » قائلاً: ما زلت أخسر. ولاحظ عودة بيدرو. فقال له:

« أما عدت تقامر بشي؟ » وأغلا تراهن على « البنك السباتي؟ »

« لقد قرفت من المقامرة... »

وعمر بيدرو بالا « القط » كأنه يطلب منه أن يكفي - « حبيب الله الطيب ».

تخل « حبيب الله الطيب » عن حصة آلاف « ريبس » كمتندوق. ولم يكن قد كسب سوى مرتين أثناء المحاولات الأخيرة. وبدأ يجدر. ونشر « القط » الأوراق على الطاولة، وفدّم ملكاً واسعة وسأل

« من يلعب؟ »

لم يجب أحد. ولا حتى « حبيب الله الطيب » الذي كان يراقب الورق بعين حذرة. وسأل « القط »

« هل تعتمد بأنه يوجد غش؟ تستطيع أن تنظر. انني لعب بصورة تزيهة أطلق حوار غراندي في إحدى صحفكاته الفاضحة. وشارك في الضحك بيدرو بالا و « حبيب الله الطيب »، والقي « القط » نظرة مسعورة نحو حوار غراندي:

« هذا الرجل يلبس العقل مثل لوح. أولاً ترى إذن... »

لكنه لم يكمل عبارته. لأن البحارين اللذين كانا يراقبان اللعب منذ حين اقترما. وقال احدهما، وهو الأصغر، الذي كان تملأ - « حبيب الله الطيب » -

« هل تستطيع الدخول في هذه اللعبة الصعيرة؟ »

أشار « حبيب الله الطيب » إلى « القط » قائلاً - الصندوق هو مع هذا الفتى.

نظر البحاران إلى تلام في حذر وريبة. لكن اصغرها لكز الآخر بكبره هاماً تصع كلام في أذنه وجرح « القط » في دخيلته، لأنه كان يعلم أن الآخر يقول انه من انسلل الأسبلاء على خوذ هذا الولد. وجلس البحاران معاً على الطاولة، ودهش « حبيب الله الطيب » لرؤية بيدرو بالا يجلس هو أيضاً إلى الطاولة. ومن جهة أخرى، فإن حوار غرابسى ليس فقط لم يدهش، بل انه جلس إلى الطاولة هو أيضاً. كان يعلم أنه يجب مواجهه البحارين. وأن من الضروري لأجل هذا أن يجسر فتان العصاية هم أنصاً وبدأ البحاران يرمجان. في البدء، كما حدث لك - « حبيب الله الطيب »، لكن رياح الحظ تحولت بسرعة وسرعة كان « القط » هو وحده الرابع وكان بيدرو بالا يطلن صيحات تعجب:

« هذا « القط » حين يحالفه الحظ، تصعب مواجهته.. »

ورد حوار غراندي: وكذلك حين يأخذ في الخسارة طوال الليل...

هذا الرد أوحى بأكثر الثقة إلى البحارين حول نزاهة اللعب، وامكانات الحظ في التحول فتابعوا اللعب والخسارة وكان اصغرها يقول فقط: لا بد وأن يدور الحظ! كان الآخر وهو ذو شارب صغير، يلعب في صمت، وكان في كل مرة يزيد

رهانه ويبدو بالآ، هو أيضاً كان يزيد قبعة رهاناته وفي لحظة معينة، التفت الرجل ذو الشارب الصغير نحو «القط».

- هل يسير الصندوق بخمسة آلاف؟

حك «القط» شعره المدهون بيرمانتين رخيص، مطهراً عدم نصمم كان رفاقه يعلمون بأنه مجرد شيء شكلي.

- اتفقاً أنا اللعب لا شيء، إلا لكي اتبع لك تعويض خسارتك

راهن البحار ذو الشارب الصغير خمسة آلاف «رئيس». وقدم الصغير ثلاثة آلاف. وراهن كل منها على «أس» مقابل حادم الصندوق. كذلك راهن على الآس، بيدرو مالا وجواو غراندي. وأخذ «القط» يقلب الأوراق. كانت الورقة الأولى تسعة. كان البحار الصغير يذق بإصابعه على الطاولة، والآخر يشد شارب الصغير. ثم جاءت ورقة «الآن» وقال البحار الأصغر.

- الآن. آس. الآن، بعد واحد..

وراح يذق الطاولة بأصابعه.

ولكن جاءت تسعة، ثم عشرة. وحينئذ جاء خادم ونطف «القط» الطاولة، في حين كان بيدرو بالآ يظهر هيئة سام عين، وقال:

- غداً، حين سوف يستولي عليك التحس، وسو، الحظ، سترى إذا كنت لسن أعلحك..

واعترف البحار الأصغر بأنه خسر كل شيء. وجلس لبحار الآخر ذو الشارب الصغير جوبوه.

- لم يعد لدي سوى بصصة ربيسات لدفع لمن البيرة. العلام لاعب ماهر...

بعض السحارون، وودعا أفراد المصاية، ودفعوا ثمن البيرة، التي شربوها على الطاولة الأخرى. ودعاها «القط» للعودة في يوم آخر. فأجاب الأصغر بأن سفينتها ستحر هذه الليلة بالذات نحو كاراقلام. فسيعودان عند الاباب فقط. وانصرفا يمسك أحدهما خصر الآخر، وهما يعلقان على التحس الذي أصابها.

وقدر «القط» مبلغ الكسب. وبدون حساب النفود التي خسرها بيدرو بالآ وجواو غراندي، بقي هناك ربح يبلغ ٣٨ ألف «رئيس». وأعاد «القط» إلى بيدرو بالآ نفوده، ثم إلى جواو غراندي وفكر بوجه، ودرس يده في جيبه، وأخرج الخمسة آلاف «رئيس» التي كان «حبيب الله الطيب» قد خسرها قبلاً.

- خذ يا أبله، عاك غش، أنا لا أريد أخذ نفودك...

قبل، «حبيب الله الطيب» الورقة المالية يسرو، وربت على ظهر «القط»:

- سوف تذهب إلى بعيد، يا صديقي. ونستطيع أن نكسب ثروة من ألعاب العش

هده

لكن الشمس كانت قد غربت، والرجل المنتظر لم يأتي. وطلبوا كئاشاً أخرى من البسذ. ومع الغروب، اردادت الربيع القادمة من البحر شدة. وبدأ «حبيب الله الطيب» يفقد صبره. وكان يذخ سيجارة وراء سيجارة. وكان بيدرو بالآ يربص الباب وقسم «القط» الثانية وثلاثين ألف «رئيس» على الثلاثة، وسأل «جواو غراندي»:

- كيف سيتدير «ذو الرجل الوخزة» امره في سرقة القبعات؟

لم يجب أحد. كانوا ينتظرون الرجل والآن أصبح لديهم انطباع بأنه لن يأتي. إن النبا السري لم يكن يساوي شيئاً في الحقيقة. ولم يكونوا يسمعون الاعنية القادمة من البحر كان «بات البحر» (نورتا دي مار) مقفراً، والأب ويليب نعان على طاولته النك. القاعة سوف تحترق، بعد قليل، وحينئذ لن يكون ممكناً أي اتفاق مع الرجل وسط هذا الجو الصاحب. وهو لن يقبل أية محادثة هنا، في هذه القاعة التي تخص مالربائن، فيمكن أن يعرفه إليه الناس، وهو لم يكن يريد ذلك، كما أن «فرسان الرمال» هم أيضاً لا يريدون. وفي الواقع، كان «القط» لا يعرف حقيقة المسألة، كما لم يكن يعرفها «بيدرو بالآ» و«جواو غراندي» كانوا يعرفان فقط ما يعرفه «حبيب الله الطيب» الذي عرصت عليه الصفة التي قبلها من أجل بيدرو بالآ و«فرسان الرمال». وعلى كل حال، فهو نفسه لم يكن يملك سوى معلومات غامضة. وكان ينبغي أن يطلعهم الرجل على معلومات، وقد حدد لهم موعداً في فترة بعد الظهر، في «بات البحر». لكنه حتى الساعة السادسة لم يظهر له اثر. وقد جاء بدلاً عنه الرجل الذي تحدث إلى «حبيب الله الطيب» وقد وصل بالضبط حين كانت المعصاة تغادر. وتحدث أوضح هذا أن الرجل لم يستطع أن يجيء، ولكنه سينتظر «حبيب الله الطيب» في المساء، في الشارع حيث يسكن. وسوف يأتي حوالي الساعة الواحدة فجراً. وأعلن «حبيب الله الطيب» أنه لا يستطيع الذهاب إلى هناك، لكنه يسلم المسألة لـ «فرسان الرمال» ويضعها في أيديهم. وتغصن الوسيط الأولاد بمحذر، وسأله «حبيب الله الطيب»:

- ألم يسبق لك أن سمعت الحديث عن «فرسان الرمال»؟

- بلى قبلاً، ولكن...

- على كل حال، انهم هم الدين سينزلون المسألة. إذن.

هذا الوسيط أنه يوافق. واتفقوا على اللقاء في الساعة الواحدة فجراً، وافتقروا. وعاد «حبيب الله الطيب» إلى سنيته، و«فرسان الرمال» ذهبوا إلى المستودع، واختفى الوسيط في أرضة الميناء. ولم يكن ذو الرجل الرخوة قد عاد بعد. ولم يكن هناك أحد من المستودع. لا يد وأهم جبعاً منتشرين في شوارع المدينة، بحثاً عن غداء. وخرج الثلاثة في ذلك الحين، وذهبوا لتناول طعامهم في رستوران رخيص قائم في السوق، وعند مغزج المستودع، أراد «القط» المبتهج جداً بتسببه اللعب، أن يفرش بيدرو بالا، لكن هذا تلافاً وأوقع «القط» على الأرض.

- إنني مدرب، أيها الاحق الكبير.

ودخلوا إلى الرستوران محدثين ضجة، واقترب منهم في حذر عجوز كان هو النادل. كان يعرف أن «فرسان الرمال» لا يجبون الدفع، وأن هذا الشاب المشطوب الوجه، كان أخطر الجميع. ومع أنه كان هناك أشخاص كثيرون في الرستوران، لكن العجوز قال لهم.

- انتهى كل شيء. لم يعد لدينا طعام...

- عبر هذه الاضطرابات يا عم، نحن نريد أن نأكل.

وضرب حوار عرادي على الطاولة بقبضته وقال:

- وإلا فسلب هذه الموائد كلها رأساً على عقب... حقد النادل العجوز فيهم، متردداً. وحينئذ رن «القط» بالنقود على الطاولة:

- اليوم، نعطي نقوداً

كانت هذه حجة حاسمة. وبدأ النادل يحضر الاطعمة: طبق من الساراباتيل^(٨) ثم طبق من «المايجو»^(٩) و«القط» هو الذي دفع ثمن الطعام. وإثر ذلك، اقترح بيدرو بالا الذهاب مع بروتاس، التي كانت تفصلها عنهم طريق طويلة، نظراً لأنهم يسرون نحوها سراً على الأقدام وقال بيدرو بالا لا حاجة لركوب للترام. والافضل أن لا يعرف أحد أننا ذهنا إلى هناك.

حينئذ قال «القط» إنه سيأتي فيها بعد. وأنه سيلتقيهم هناك. كان لديه ما يفعله قبل ذلك. كان يريد أن يبلغ «دالغا» بأنه لن يحضر إليها هذه الليلة.

(٨) ساراباتيل: اكلة مفلات برازيلية مصنوعة من كروشي الخنزير وعاءه.

(٩) المايجو: دجاجة وطنية برازيلية مصنوعة من اللوز، السوداء، بنعم الخنزير والنم.

والآن وصلوا إلى هناك، إلى محطة «بينتاغريس»، منتظرين وحيل الشرطي. كانوا يجلسون في ظل بوابة كبيرة، ويلزمون الصمت. كانوا يسمعون صوت طيران الخفافيش التي كانت تناجم على الأشجار حبات الزعرور الأميركي الناضجة. وفي النهاية غادر الشرطي. وبقوا في وضع المترقب حتى اختفى شبحه عند المنعطف. وحينئذ احتاروا هذا المنعطف، ودخلوا إلى جادة المزارع، حيث اختبأوا تحت سقفة.

لم يتأخر الرجل البتة. وقد قفز من سيارة تكسي عند زاوية الشارع، ودفع أجرة الركوب، وحاء، صاعداً الجادة. كان يسمع فقط صوت خطاه، وحفيف الأوراق التي يهبها الهواء على الأشجار. وحين اقترب منهم كفاية، خرج بيدرو بالا من تحت السقفة. وسارع الآخرون للحاق به، وأحاطوه، مثل حراس أفوسيا، يعرفون مهمتهم، واقترب الرجل من الجدار، المحاذي لخط سيرة. واتجه بيدرو نحوه. وحين وصل إلى مستواه، توقف.

- هل يمكن أن تشعل لي هذه السيجارة أيها السيد؟

كان في يد بيدرو بالا سيجارة مطفأة. لم يجب الرجل بشيء. بل أخرج علبة النقاب، وناولها للفتى. وأشعل بيدرو سيجارته، وأثناء اشعالها، حقد في الرجل. ثم سأله وهو يميل إليه العلية:

- أنت انت المسمى جويل؟

- وسأل الرجل، لماذا؟

- إن «حبيب الله الطيب» هو الذي أرسلنا. واقترب جواو غراندي و«القط»، وحقد الرجل فيهم مندهلاً:

- إنهم مجرد أطفال. والعمل الذي أنا في سبيله، ليس عملاً لأطفال.

- قل لنا ما هو؟ نحن نعرف أن تقوم بعمل مناسب، هكذا رد بيدرو بالا، في حين كان زميلاه يقتربان

- ولكن ماذا لو كانت المسألة صعبة بحيث أنه حتى الرجال..

ووضع الرجل يده على فمه مثل شخص قال كل شيء. بل وأكثر.

- نحن نعرف كيف نتخطف بالسر، كما لو أنه كان في خزانة فولادية. و«فرسان الرمال» يفعلون دائماً عملاً منقياً.

- «فرسان الرمال»؟ هذه العصاية التي تتحدث عنها الصحف؟ أولاد مشردون؟ أم انتم؟

- أجل، نحن. ونحن من الذين يقودون أولئك الأولاد.

بدا الرجل كأنه يفكر. وأخيراً قرر موقفاً، وقال: كنت أفصل أن أكلف رجلاً بهذا العمل. ولكن نظراً لأن الأمر يجب أن يجري في هذه الليلة بالذات، فالوسيلة...

- سوف ترى كيف أننا نحسن العمل. لا تقلق.

- تعالوا معي. ولكن دعوني أقدمكم. واتبعوني ولكن على بعد خطوات مني. اطاع الأولاد. وتوقف الرجل المجهول عند حاجز، فتحه، وهدأ بسرعة. ومن الداخل، جاء كلب راح يلحس يديه. وأدخل الرجل ثلاثهم معاً، واجتازوا معه طريقاً تحف بها الأشجار ثم فتح باب المنزل. ودخلوا إلى غرفة صغيرة، ووضع الرجل معطفه وقبعته على كرسي، ثم جلس. وطل الغلمان الثلاثة واقفين. وأشار الرجل إليهم بالجلوس، وبدا يده أحوا ينظرون في حذر إلى الفتويلات الواسعة المريحة. ذلك على الأخص، كانت حالة بيدرو رجواو غراندي، ذلك لأن القطه كان قد جلس على أحد هذه الفتويلات جلسة مريحة. وإن كان قد حافظ على عصبه. وبعد إشارة جديدة من الرجل، جلس بيدرو وعرايدي، رغم أن جواو غراندي اتخذ جلسة له على حافة المقعد، وكأنه كان يحشى توسيخه. كانت هيئة الرجل مرحة، مداعبة، وفحاة بهس، ناصراً إلى بيدرو، الذي أحس أي الرجل، أنه الزعيم (أي بيدرو).

- إن ما سوف تفعلونه هو صعب وسهل في وقت معاً. والآن، ما يلزم، هو أنه لا يجب أن يعرف أحد بما ستفعلون. لا أحد بالمرّة. أجب بيدرو بالا، كن مطمئناً نحن نعرف ما نعمل.

أخرج الرجل ساعته من جيبه، وقال: الساعة الآن الواحدة والرّبع. إنه لا يعود إلا في الساعة الثانية والنصف...

كان ما يزال ينظر إلى «فرسان الروما» بتردد.

وباعته بيدرو قائلاً:

- إذن، لم يعد هناك وقت طويل. فإذا أردت أن نعمل، فيجب أن نبدأ الآن، فوراً...

حينئذ صمم الرجل:

- بعد شارعين من هذا الشارع، توجد المزرعة الأخيرة على اليمين. يجب أن تحتجبوا للكلب، الذي لا بد وأنه مطلق السراح الآن. وهو كلب شرير. وقاطعه جواو غراندي.

- هل لديك هنا قطعة لحم؟

- لماذا؟

- لأجل الكلب.

- سوف أرى.

كان ينظر إلى الأولاد. كان يتساءل ما إذا كان يستطيع أن يعتمد عليهم.

- سوف تدخلون من العمق. وقرب المطبخ، في الجهة الواقعة خارج المنزل، يوجد غرفة فوق المرائب. إنها غرفة الخادم، الذي يجب أن يكون الآن في المنزل، منتظراً عودة سيده. وسوف تدخلون إلى غرفة الخادم. وعليكم أن تبحثوا عن رزمة كهذه، كهذه تماماً.

واتجه نحو جيب معطفه، وأخرج منه رزمة صغيرة مربوطة بشريط وردي.

- إنها مشابهة تماماً لهذه. ولا أدري إن كانت هذه الرزمة ما زالت في المنزل. ويمكن أن تكون في جيب الخادم. فإذا كان الأمر كذلك، لن يعود بالامكان أن نفعلوا شيئاً.

وبداً أن يأساً مباهتاً قد أتم به.

- لو أمكنني أن أذهب بعد ظهر هذا اليوم... إذن، بالتأكيد، كنت سأجد الرزمة في الغرفة. أما الآن فمن يدري؟

وغطى وجهه بيديه.

وقال بيدرو: حتى ولو كانت الرزمة مع الخادم، فمن نستطيع أخذها.

- كلا. ومن المهم جداً أن لا يعرف أحد أن الرزمة قد سرقت. إن ما سوف

تفعلونه، هو إبدال رزمة بأخرى، إذا كانت الرزمة المطلوبة في الغرفة.

- وإذا كانت مع الخادم؟

- حينئذ...

وعاد وجه الرجل مجدداً للاكتئاب. وسمع جواو غراندي باسم شبه الزيا، ولكن ربما كان هذا وهماً ألم بجواو غراندي، الذي كان أحياناً يسمع ويرى أشياء لا يسمع بها ولا يراها أحد. كان الزنجي كاذباً جداً.

- إذن، يجب تغيير الرزمة بنفس الطريقة. ويمكنك أن تطشّن. إنك لا تعرف

«فرسان الروما»

والرغم من بأسه، انشم الرجل من مرحلة بيدرو بالا:

- إذن، استطاعتكم الذهاب. وبعد ذلك، لكن هذا يجب أن يكون قبل الساعة الثانية، عودوا إلى هنا. ولكن فقط حين تخلو الطريق تماماً. وسأنظركم وسوف نسوي حسنة حساباتنا. لكن هناك شيء واحد، إن أنهبكم إليه مخلص إذا اكتشف

امرئ وعقلهم، فلا تعرضوني للخطر ولن افعل شيئاً من أجلكم، لأن اسمي لا يمكن أن يظهر في كل هذه المسألة، وحاولوا حينئذ اخفاء هذه الرزمة، ولا تصلوا بي أية حجة كانت. المسألة أن نكتب أو نحسر ..

رد بيدرو بالا: في هذه الحالة يجب تحديد الأجر مسبقاً. فكم تدفع؟
- انني اعطي مئة ألف «رييس»، ثلاثون لكل واحد منكم، وعشرة زيادة لك، وأشار إلى بيدرو.

تحرك «القط» على كرسيه فأشار له بيدرو بأن يصمت. وقال للرجل: سوف تدفع حسين ألفاً لكل واحد منا، وكما يبدو لي، فإنك تظل راجعاً في هذه الصفقة. وهذا بشكل مئة وخمسين ألف «رييس». وإلا، فلا رزمة هناك.

لم يتردد الرجل البتة. ونظر إلى ساعة يده، حيث يركض العقربان.

- انتفخنا.

حينئذ قاطعه «القط».

- ليس ذلك لأننا لا نتق فيك. لكن المسألة يمكن أن تفشل، وقد قلت أنت نفسك أنك لن تهتم بما يمكن أن يحدث لنا.

- وماذا إذن؟

- من العدل والحالة هذه أن نعطينا سلقة كبيرة الآن.

وأبد جوار غراندي «القط» بايالة من رأسه. وردد بيدرو بالا آخر كلمات الآخر

- هذا عدل، نعم. إذا كنا لا نستطيع الاتصال بك بعد ذلك.

وقال الرجل بدوره: نعم هذا عدل.

وأخرج من جيبه محفظة، وسحب منها ورقة مالية بمئة ألف «رييس»، وناولها لبيدرو.

- والان اذهوا بسرعة. لقد تأخر الوقت.

وخرجوا وقال بيدرو بالا:

- لا تهتم. بعد ساعة سعود ومعا الرزمة.

وأمام المنزل (كان الشارع خالياً تماماً) وفي إحدى النوافذ كان هناك ضوضاء، وشاهدوا شيخ امرأة يذهب ويحيي (وضرب الزعم جيبه).

- لقد نسيت قطعة اللحم لأجل الكلب.

نظر بيدرو بالا إلى النافذة المضاة.

- الأمر سيان! كل هذا تفوح منه رائحة الخيانة - الزوجية ملء الانف. إن الشخص هاك كان «يرت» الصغيرة ها، والان توجد مع الخادم وزمة الرسائل التي كانا يتبادلانها، وهو يريد اعطاءها. وهذه الرزمة تفوح منها العطر، وهذا ما ينبغي أن يحس به الأخير أيضاً.

وأشار إلى الاثنين بانتظاره في الحالب الآخر من الشارع، واقترب من بوابة المنزل. وما أن استند إليها حتى اقترب منه كلب كبير وهو ينبج. وربط بيدرو بالا حبلأ رقبياً بمزلاج البوابة، في حين كان الكلب يروح ويحيي، ناجماً بصوت خفيض، ثم نادى بيدرو رفيقه.

- أنت (وأشار إلى «القط»، ابق هنا، في الشارع لاعطاء الانذار اذا داهمنا احد. أما انت، غراندي فادخل معي.

وتسلقا إلى ارتفاع الحاحز الصغير للجدار. وشد بيدرو بالا على المزلاج بالحلبل الرفع. فانفتحت البوابة. وكان «القط» قد ذهب إلى زاوية الشارع. وحين رأى الكلب الباب مفتوحاً، اندفع نحو الشارع، وتأخر هناك وهو يتفحص علة قاذورات. وقمر بيدرو بالا وجوار غراندي إلى أسفل الجدار، وأقفلا البوابة لكي لا يستطيع الكلب العودة إلى المنزل، وتقدموا بين الأشجار وفي نافذة المنزل المضاة، استمر شيخ المرأة يروح ويحيي. وقال جوار غراندي بصوت خفيض جداً.

- انني أتألم من أجلها

- من الذي طلب منها أن تنام مع الآخرين؟ ..

وقف الزوجي قرب المنزل لينقل الانذار إلى «القط»، في حالة مدامعة أحد لهم، وكان يستخدم في هذه المساسات انواعاً خاصة من الصغير. ودار بيدرو بالا حول المنزل، ووصل إلى المطبخ. كان بابه مفتوحاً، كما كان مفتوحاً أيضاً باب الغرفة القائمة فوق المراتب. بيد أن بيدرو قبل أن يرقى السلم المؤدي إلى الغرفة،لقى نظرة عبر باب المطبخ. ورأى بيدرو فيه رجلاً فقال «لا بد أنه الخادم المذكور»، هكذا فكر بيدرو، وبسرعة، ابتعد بيدرو نحو سلم المراتب. وصعد على الدرجات أربعاً فأربعاً، ودخل إلى غرفة الرجل. لم يكن هناك نور، وأقفل بيدرو الباب، وأشعل عود ثقاب. لم يكن هناك سوى سرير، وحقيبة. وانطفأ عود الثقاب، لكن بيدرو كان قد وصل إلى السرير، الذي بحث فيه بكامله. وإثر ذلك، نظر تحت الفراش. وهنا أيضاً لم يجد شيئاً. ففتش حينئذ من السرير واقترب من الحقيبة دون أن يحدث ضجة، ورفع غطاءها، وأشعل عود ثقاب أمسكه بأسنانه. وقام بالبحث في الثياب باحتراس: ولم يجد

شيئاً ! وبصق عود الثقاب ، ثم تذكر أن الرجل ربما كان لا يدخن ، فوضع علة الثقاب في حبه ، واتجه نحو المشبب الملتب في الحدار . ولم يجد شيئاً في الملابس المعلقة على المشبب وأشعل بيدرو مالا عود ثقاب أخيراً ، وقام بتفتيش كل الغرفة .

- من المؤكد أن الرزمة هي مع الرجل . والآن سوف نخرج .

فتح باب العرفة ونزل على درجات السلم ، ووصل إلى باب المطبخ ، كان الرجل ما زال جالساً ، وحينئذ ، لاحظ بيدرو بالا أن الرجل كان جالساً على الرزمة بالذات . كان طرف منها يبرز تحت ساق الرجل . وحسب بيدرو أن كل شيء قد ضاع . فكيف يستطيع سحب الرزمة من تحت هذه الساق ؟ وابتعد عن باب المطبخ واتجه إلى الموضع الذي يقف فيه جواو غراندي . وفكر أن يهاجم الرجل بالاشتراك مع جواو غراندي ... ولكن حينئذ ستكون هناك صيحات ، ... وسيطلع الجميع على السرقة . والذي استخدم لهذا العمل لم يكن يريد أي شيء . ربما يحصل هنا . وفتحة خطرت لبيدرو فكرة . واقترب من الموقع الذي ترك فيه غراندي ، وهو يصفر بصوت منخفض جداً . وسرعان ما ظهر جواو غراندي . وقال له بيدرو بالا بصوت منخفض جداً هو أيضاً : اسمع يا غراندي . إن الخادم جالس على طرف الرزمة . عليك أن تذهب إلى الباب المؤدي إلى الشارع ، وتضغط على الحرس ثم تنفر على الفور . ذلك لكي يقف الخادم ، وأسرق أنا الرزمة . ولكن سارع إلى الاختباء بسرعة ، بحيث لا يراك الرجل ، ولكي يظن أنه رأى حلاً لا حقيقة . اتح لي الوقت للوصول إلى المطبخ .

وعاد بسرعة إلى باب المطبخ ، وبعد دقيقة ، رن الجرس . فنهض الخادم بسرعة ، وورر سترته واتجه نحو مدخل المزل عن طريق الرواق ، حيث انصاه الكهرياء . ونفذ بيدرو مالا إلى المطبخ . وقام بتبديل الرزمة ، واتجه نحو الرزمة . وقفز عن الجدار ، وصفر لك « القط » وجواو غراندي . وسارع « القط » في الحضور . لكن جواو غراندي لم يظهر . وذهب من جهة إلى أخرى ، لكن « الزنجي » لم يظهر أيضاً . بدأ بيدرو ينفذ الصر ، خائفاً من أن يكون الخادم قد باغت جواو غراندي . ومن أن يكون الآن يتقاتل معه . لكنه أي بيدرو بالا ، حين مر من هذا الجانب ، لم يلاحظ أية ضجة . وقال : إذا تأخر أيضاً فسوف ندخل .

وصفرا محذراً ، ولم يحروا أي جواب . وحزم بيدرو بالا امره .

- لنعد إلى الداخل .

ولكن سرعان ما بلغت صفره جواو غراندي الذي لم يتأخر عن اللحاق بها .

وسأله بيدرو :

- أين اختبأت ؟

كان « القط » قد أمسك الكلب من مقوده . وأخرجه من الجانب الآخر للموبة . وسحب حبل المزلاج الرفيع ، واحتضن إلى الجانب الآخر من الشارع . في هذا الموضع ، أوضح جواو غراندي الموقف .

- حين وضعت اصبعي على الحرس ، أصيبت المرأة التي فوق ما يشبه الحصون الكلي . ففتحت هي النافذة ، وقد حيل إلي أنها ستلقي بنفسها منها . كانت تعلم أن هذا ينير الخوف بل كانت تبكي وتتجنب . حينئذ أحسبت بالألم . وتسلفت الانسوب لأقرب لها أن لا تنتحب ، وأنه لم يعد هناك سبب لذلك اليكاه ، نظراً لأننا سرقتنا الرسائل . ونظراً لأنني اضطررت لأوضح لها كل شيء ، فقد استغرق ذلك مني بعض الوقت .

وسأل « القط » معماً بالفصول :

- لقد أحسست بالسرور ، أليس كذلك ؟

- بلى . أحسست بالسرور . وقد سحت بيدها على رأسي ، ثم شكرني . سأنت هي الله أن يجمعي

- كف عن الهاجة ، أيها الزنجي . سأنت فقط إن كانت مسرورة . ولكن فقط من أجل السرير . وإذا كنت قد رأيت ذلك الداعر ...

لم يجيب الزنجي . ودخلت سبارة في الشارع . وبرت بيدرو بالا على كنف الزنجي ، وكان جواو غراندي يعرف أن الزعيم يوافق على ما فعل ، أي الزنجي . حينئذ انصاه وجهه بالفرح والاستبشار . وهمس .

- كنت أحب فقط أن أرى رأس الخادم حين سيفتح رب العمل الرزمة ولا يجد فيها ما كانوا ينتظرون .

كانوا قد دخلوا شارعاً آخر ، وانطلقوا ثلاثتهم لا يلبسون على شيء ، مطلعين عاصفة ضحك . هو ضحك « برسان الرمال » الذي كان بمثابة تشيد شعب باهيا .

* * *

أصواء مضمار الخيول الخشبية

عن مضمار الخيول الخشبية، الذي كان متعلقاً به بشكل خاص، وإلى درجة كبيرة، فقد قام بتفكيكه في أحد الأيام بمساعدة بعض الاصداقاء. وبدأ بارتياح مديني الاغواس وسيرجيب. وخلال هذا الوقت، كان الداثون يتعنتونه بجميع أسماء الطيور، التي يعرفونها. لقد كان له ماضي جميل، هوزنوب فرانس، مع مضمار خيوله الخشبية! وبعد أن ارتاد جميع المدن الصغيرة في الولايتين وبعد أن سكر في جيع خاراتها، دخل إلى ولاية باهيا. ووصل به الحد إلى اقامته عرضاً لعصابة لامبيار.

كان في قرية فقيرة في داخل البرازيل، وكان يفتقر إلى النقود، ليس فقط لاجل نقل مضماره، بل كان لا يجد ما يدفع به اجرة الفندق البائس الذي ينزل فيه، والذي كان الوحيد في تلك البلدة، ولم يكن لديه لمن كأس واحد من الحمرة، ولا البيرة التي لم تكن دائماً مملدة، لكنه كان يبيعها رغم ذلك. إن مضمار الخيول الخشبية، المقام على كلاً ساحة «الماتريس»، كان متوقفاً منذ اسبوع. وكان هوزنوب فرانس ينتظر ليلة السبت وبعد طهر الأحد ليرى إذا كان سيكسب بعض المال للانتقال إلى مكان أفضل. لكن يوم الجمعة دخل لامبيار إلى القرية مع ٢٢ رجلاً، وحينئذ تحسن كثيراً عمل المضمار. فهؤلاء الكانغاسبيروس^(١٠)، الكبار، كانوا مثل الأولاد - وهم أي الكانغاسبيروس في ذمتهم عشرون أو ثلاثون قتيلاً - وجدوا مضمار الخيول الخشبية محققاً لمنعة لذيدة، وكانوا يرون أن النظر إلى أضوائه الدوارة، وسماع الموسيقى العتيقة للبيانو الآلي التابع للمضمار، وركوب هذه الخيول الخشبية البيرة، تحقق لهم اعظم متعة وأكثر سرور. إن مضمار هوزنوب فرانس قد انتقد البلدة من النخب. والعيتات من الاعتصاب، والرجال من الموت. إن الجنديين التابعين لشرطة باهيا، والذين كانوا يصبغان حذائهما امام مركز الشرطة، قد اعددهما الكانغاسبيروس، وذلك أيضاً قبل أن يصرى الكانغاسبيروس من المضمار المقام على ساحة «الماتريس» وربما، بدون شك كان يمكن أن يعمر لامبيار حتى لشرطة باهيا في ليلة السعادة الكبرى هذه، سانسبة لمصاوبة الكانغاسبيروس. وأصبح هؤلاء، حينئذ مثل الاولاد، وذاقوا هذه السعادة التي لم يسبق شمع أن ذاقوها حين كانوا أولاد قلاحين فقراء: امتطاء جواد خشبي، والدوران معه حيث تعرف موسيقي بيانو آلي، وحيث الاصواء متعددة الألوان: زرقاء، وخضراء، وصفراء، ونفسجية وحمراء، مثل لون الدم المتفجر من أجساد من يتعرضون للاغتبال. هذه القصة هي التي رواها هوزنوب لا «الكوك الناشف»، (والتي حرصته مشددة)،

(١٠) الكانغاسبيروس، فلاحون فقراء يتحولون إلى قطاع طرق.

لم يكن «المضمار الياباني الكبير» سوى لعبة خيل برازيلية صغيرة تصل، بعد جولة محزنة عبر مدن الداخل النائية، على - أشهر الشتاء هذه، حين تكون الامطار تهطل بلا انقطاع، وبعد الميلاد ما زال بعيداً أيضاً - ولشدة ما نفضل لونا الجياد الخشبية - وكاننا في الماضي أزرق وأحمر، والأب أصبح الأزرق ابيض قذراً، وصار الاحمر لوناً زهرياً تقريباً - ولكنرة القطع التي كانت تنقص الجياد الخشبية، وبعض المقاعد بحيث قرر السيد فرانس، هوزنوب فرانس، أن يعرض ألعاب الجياد الخشبية في اينتاجيب، وليس في احدى الساحات المهمة في المدينة، وفي اينتاجيب لم تكن العائلات غنية جداً، وهناك كثير من الشوارع العالية فقط، وباستطاعة الاولاد الفقراء أن يتقدروا مضمار الخيول الخشبية العتيقة الصالحة اللون. وكانت الشاشة مثقوبة هي أيضاً. هذا بالإضافة إلى صعوبة هائلة كانت ترغم المضمار على أن يتوقف عرضه على مزاج المطر. لقد كان لهذا المضمار عهده البديم، وكان مخففة اولاد ماسايو. في أزمنة ماضية، ذهبت دون رحمة، كان مضمار الخيول الخشبية المملونة يقوم بين جبل روسي ونفق اصطناعي، دائماً في نفس الساحة، وفي أيام الاحاد والاعياد، كان اولاد الاغنياء اللابسين ثياب البحارة، أو أزياء مضمار اللوردات الانجليز، والبسات الصعيرات بالملابس المولدة أو بالفنساتين الحريرية الناعمة باتون جيماً للحلوس على جيادهم المفضلة. وكان أصغرهم سناً يحملون المقاعد مع مرضعاتهم. وكان أهل الاولاد يذهبون إلى الجبال الروسية الاصطناعية وآخرون كانوا يفضلون النفق حيث يستطيعون حشر النساء، ويمسح سيقانهم ومؤخراتهم في كثير من الاحيان. كان بارك ألعاب هوزنوب فرانس في ذلك الحين يشكل نعم المدينة. وأفضل من ذلك كله، هو أنه كان يدر النقود دائماً بصورة لا تكل باضوائه المتعددة الألوان. كان هوزنوب يجد الحياة جميلة والنساء جميلات، والرجال بلاطفونه، لكنه كان يصرى أيضاً أن المشروب جيد هو أيضاً وأنه يعمل الرجال أكثر لطفاً، والنساء أكثر جمالاً. وهكذا شرب في البدء النفق، ثم الحبل الروسي. واثراً ذلك، ونظراً لأنه لم يكن يريد الانفصال

وله ذي الرجل الرخوة، في فترة بعد الظهر تلك حين التقاه في حانة، باب البحر، (بورنا دي مار) ودعاها لمساعدته في تحريك مضمار الخيول الخشبية، حلال الأيام التي سيقام فيها هذا المضمار في باهيا، ببلدة إيتاباجيب، ولم يكن باستطاعته أن يحدد لها أحوالاً، ولكن ربما استطاع كل منهما أن يكسب زهاء خمسة آلاف ريالين كل ليلة. وحين عرض «دو الكوع الناشف» قذرفته على تقليد مختلف أنواع الحيوانات، تحمس نهو زيهو فرانساً له غاية الحماسة، وطلب من التادل زجاجة بيرة جديدة وأعلن أن «ذا الكوع الناشف» سيظل عند باب المضمار ليدعو الجمهور إلى الدخول، في حين أن «ذا الرجل الرخوة» سباعده على الآلات وسيتكلف أمر البيانو الآلي. وهو نفسه سوف يبيع بطاقات الدخول عند توقف المضمار. وحين سير المضمار، يتكلف «دو الكوع الناشف» بالمسألة.

وقال نهو زيهو وهو يغمر بعينه وبين الحين والحين، تخرج لشرب كأس، في حين يقوم الآخر بمجذمة الأثنين.

لم يسبق «لذي الكوع الناشف» و «لذي الرجل الرخوة» وأدأ أن تقبل فكرة مثل هذه الحماسة. لقد سبق لها أن شاهدة مراراً مضماراً للخيول الخشبية. لكنها كانت يرىانه دائماً من بعد، محاطاً بالأسرار، وحياده السريعة تمنطقها أولاد الاغنياء، السريعي البكاء، بل إن «صاحب الكوع الناشف» قد نجح - في أحد الأيام حين تسلل إلى باريك العباب اقيم في منزله عام - بشراء بطاقة دخول، لكن الحارس طرده من ذلك المكان لأنه كان رث الشباب، وإثر ذلك لم يقبل قاطع التذاكر أن يعيد له ثمن البطاقة، مما دفع «ذا الرجل الرخوة» لأن يستولي على جوارور الصندوق الذي كان مغنواً ويحتوي على جعب بقود الفروقة، وكان عليه أن يخفي من المنتزه العام بصورة سريعة جداً. في حين كانت تسمح في جعب أرجائه صحبات «إلى اللص» إلى اللص «أ»، وحدث اضطراب وهياج هائلان بل رهبان، في حين كان «ذا الرجل الرخوة» يهبط هدهو تام على طريق «غامبو دي سبأ»، حاملًا في جيبه على الأقل خمسة أضعاف ما دفعه ثمن بطاقة الدخول. لكن «ذا الرجل الرخوة» كان يفضل، طمعاً، أن يدور محتفياً هذا الجواد الهائل، الذي له رأس تينين، وهو أروع جواد تنضمه مجموعة المضمار البدعية. وقد أحس منذ ذلك الحين بالفضاء، ازا، رجال لشرطة، وبجب اكمل للمضمارات البعيدة. والآن، ها قد جاء رجل يدفع ثمن البيرة، ويتبعه معجزة حين يدهره للعبش بصمة أيام مع مضمار حقيقي للخيول الخشبية البدعية الألوان، ولأن يتحرك معه، ويمتطي خيوله، ويرى في قرب دوران أضواء المتعددة الألوان. وبالنسبة «لذي الرجل الرخوة» لم

يكن نهو زيهو ذلك السكير الذي يجالسه حول مائدة حانة «بورنا دي مار» البائسة، ففي نظره، كان نهو زيهو يمثل كائناً خارقاً شيئاً مثل الله الطبيب الذي يصلي له «سكر الشعير» شيئاً مثل كسانفو، شفيج جوار غراندي، و «حبيب الله الطبيب» ذلك لأنه لا الأب جوزيه بيدرو، ولا (كاي - دي سانتو - دو آنيها) كانوا قادرين على اجتراح معجزة كهذه. وفي ليالي باهيا، في ساحة إيتاباجيب، سوف تدور أضواء مضمار الخيول الخشبية بمجون، ويقوم باحياها وتحريكها «ذا الرجل الرخوة». كان ذلك كائناً في حلم، حلم مختلف تماماً عن الاحلام التي كان هو «ذا الرجل الرخوة» قد اهتاد أن يراها طوال ليالي قلعة. ولأول مرة. نذبت عيناه بدمرغ لا تكن ناجحة لا عن العذاب ولا عن الغضب. كانت عيناه الرطبان تتأملان نهو زيهو فرانساً بعبادة. فمن أجله، كان «ذا الرجل الرخوة» مستعداً حتى ليدبح رجل بالموسى التي يحملها بين السطال والكزة العنيفة السوداء التي كان يلبسها بمناية سرة.

- هذا شيء بديع ورائع، هكذا قال بيدرو بالاً وهو ينظر إلى مضمار الخيول الخشبية الملونة بعد اقامته.

وكان جوار غراندي يطرف بعينه لكي يرى بصورة أفضل. وكانت قد علقت المصاحب الزرقاء والخضراء والصفراء والحمراء.

إنه قد تم وناصل الألوان مضمار نهو زيهو فرانساً، لكن له جماله. وربما كان هذا الجمال يكمن في أضوائه أو في مرسقي البيانو الآلي العتيق، (فالسات قديمة لأزمنة هاربة)، أو ربما في جباهه الخشبية الملونة. وبينها كان يوجد مكان يجلس فيه الأطفال الصغار، أحل، كان له جماله، ذلك لأنه كان هذا هو رأي «مرسان الرمال» المجمعين على أنه جميل جداً ورائع. وما هم أن يكون عتيقاً ومخطئاً، ومحو الألوان، إذا كان يروق للأولاد؟

كانت مفاجأة لا تصدق تقريباً حين وصل في تلك الليلة إلى المستودع «ذا الرجل الرخوة»، معلناً أنه هو «دو الكوع الناشف»، سوف يعملان بصمة أيام في مضمار للخيول الخشبية الملونة. كثيرون لم يصدقوها. ووطن، أن هذه مزحة جديدة من «ذي الرجل الرخوة». حينئذ ذهبوا ليسألوا «ذا الكوع الناشف» الذي كان، يبقى كعادته حائلاً في راوبته، فلا كلام، يتمتع سمساً من عمل لبيع الأسلحة. وأيد «دو الكوع الناشف» هذا الشك بنائية من رأسه. كان يقول بين القبيش والعبية:

- لقد ركب لاسبوا أحد هذه الخيول، معلناً أن لاسبوا هو عراني...

ودعاهم «دو الرجل الرخوة» جميعاً لأن يذهبوا ويشاهدوا مضمار الخيول الخشبية

في الليلة القادمة، بعد أن تم اقامته. ثم ذهب لملاقاة نهوزنهو فرانساً. في تلك اللحظة، فإن جميع القلوب الصغيرة التي كانت تنبض في المستودع قد غبغت « ذا الرجل الرخوة » على سمائه الكبرى، وحتى « سكر الشعر » الذي كانت لديه صور قديسين على جداره. وحتى جوار غراندي الذي كان من المقرر أن يذهب هذه الليلة بالذات مع « حبيب الله الطيب » إلى رقص الكاندونيلية دي بروكويو، في بلدة ماتونو. وحتى « الاستاذ » بالذات، الذي كان يقرأ كتاباً، وس يدري ما إذا كان بيدرو بالا هو أيضاً، هو الذي لم يكن يحسد أحداً أبداً لأنه كان زعيمهم جميعاً... أجل، جميعهم حدوا « ذا الرجل الرخوة »، كما حدوا « ذا الكوع الناشف » الذي كان جالساً في راويته، وشعره المتناثر الاثنت بدون تسريح، وعيناه مفتوحتان نصف فتحة، وفمه ماعر قليلاً في تكشيرة غضب، وهو يشهر مدسه اما على واحد من الصبيان، واما على جرد غير قربه، أو على الهجوم التي كانت كثيرة جداً في السماء.

وفي الليلة التالية، ذهبوا جميعاً مع « ذي الرجل الرخوة » و « ذي الكوع الناشف » (كان هذا الاحيران قد قضيا السهار في الخارج يساعدان نهوزنهو في اقامة مضمار الخيول الخشبية) لمشاهدة هذا المضمار بعد اقامته. كانوا واقفين امامه، وقد خلب الباهم جماله، وقد فغرت افواههم لفرط الاعجاب. وكان « ذا الرجل الرخوة » وبين التفصيل كل جمالات المضمار. وكان « ذا الكوع الناشف » يصيحهم واحداً واحداً لكي يتأملوا باعجاب الجواد الذي امتطاه غرابه، فيرغولينو فريسوا لامبياو. وكان هناك زهاء مئة من الاولاد الذين وقفوا يتأملون مضمار نهوزنهو فرانس المسن، الذي كان في تلك الساعة، يسكر سكرة هائلة في حانة « لابورتا دي مار » (« باب البحر »). قام « ذا الرجل الرخوة » باطلاعهم على الآلة (وهي محرك صغير كان كثيراً ما يتوقف عن العمل) باعتزاز المالك. ولم يعد « ذا الكوع الناشف » يترك الحصان الذي امتطاه لامبياو. وكان « ذا الرجل الرخوة » بمعنى عناية كبيرة بمضمار الخيول الخشبية، ولم يكن يسمح لاحد بأن يمسها أو يجر كمها معها كان السبب.

حينئذ سأل « الاستاذ »:

- هل أصبحت تعرف تشغيل الآلات؟
- غداً سوف اعرف ذلك، هكذا اجاب « ذا الرجل الرخوة »، ببعض الانسياء.
- وقال: عداً السيد نهوزنهو سوف يعلمني ذلك.
- اذن عداً، بعد أن تنهي عملك، تستطيع أن تدير مضمار الخيول الخشبية لأجل الاصدقاء وحدهم. انتك ستفعل ما ينبغي لتسيير المنطومة، ونحن نجلس للفرجة

سأيد بيدرو بالا التفكير بجماسة. وكان الآخرون ينتظرون بقلق، جواب « ذي الرجل الرخوة » وهذا الأخير قل. وحينئذ صفق العديديون، وأطلق آخرون الصبحات. في هذه اللحظة، تجرل « ذا الكوع الناشف » عن الحصان الذي سبق أن امتطاه لامبياو، وأقبل « ذا الكوع الناشف » نحوهم.

- هل تريدون أن نرأ شيئاً حياً؟

كان الجميع يريدون ذلك، صعد السيرتانيجو^(١١) إلى المضمار، وسير البياسو الآلي، وأسمعهم انغام رقصة فالس من أيام زمان. كان وجه « ذي الكوع الناشف » القاتم - بضاء بانسامة - كان يتأمل قلياتو الآلي، ويراقب الاولاد المأخوذون بالفرح. كان هؤلاء يصغون بجمرة إلى الموسيقى التي كانت تنفجر من بطن مضمار الخيول الخشبية، في سحر ليل باهيا، وذلك فقط من أجل أدان « فرسان الرمال » المغامرة والشقية. كان الجميع صامتين، واقرب منهم عامل كان يمر في الطريق، حين رأى تجمع الاولاد على هذا النحو. هو أيضاً لث ساكتاً بلا حراك وهو يصغي إلى هذه الموسيقى النفذية. حينئذ غمر ضوء الدرد الجميع. وازداد لمعان النجوم في السماء. وازداد هدوء البحر (لعل اميرة ايامنجا جاءت هي ايضاً لسباح الموسيقى). ولم تعد المدينة سوى مضمار كبير كان يدور عليه على خيول غير مرتية « فرسان الرمال ». في هذه اللحظة الموسيقية، أحسوا هم بأنهم سادة المدينة. وأحب بعضهم بعضاً، وأحسوا بأنهم أخوة. لأن الجميع كانوا معاً محرومين من الحنان والراعية، والآن اصبح لديهم حنان موسيقي ورعايتها. ومؤكداً تماماً أن « ذا الكوع الناشف » لم يكن الآن يفكر في لامبياو. ويدرو بالا لم يعد يفكر في اليوم الذي سيصبح فيه زعم جميع المالاندروس^(١٢) في المدينة، وكف « ذا الرجل الرخوة » عن التفكير في الارقاء بالبحر حيث جميع الاحلام جملة لأن الموسيقى كانت تنفجر من بطن مضمار الخيول الخشبية القديم، لهم وحدهم، وللعامل الذي وقف يصغي إلى الموسيقى. وكانت هذه الموسيقى رقصة فالس قديمة وحديثة، ولحناً منسياً لرجال المدينة

(١١) السيرتانيجو: ولد من اهل سيرتارو

(١٢) فتيان معهم المغر إلى تكويش عصامات من قاضي الطرقي والقصص، الحاملين مع ذلك قيناتا الرقص والثناء.

- ملاحظة من المترجم -

كان اشخاص يتوافدون من جميع الشوارع. انها ليلة سبت: غداً، لن يذهب الرجال إلى عملهم. وهذه الليلة يستطيعون التأخر في الطرقات. كثيرون منهم فصلوا الحمامات وكانت حانة «باب البحر» تقص بالرواد، لكن الذين لديهم اولاد جاؤوا معهم إلى الساحة التي الاضاءه ومثانة تموض، كانت هه اأضواء مضمار الخيول الخشبية، الدوارة كان الاولاد ينظرون إلى الاأضواء والخيول ويصفقون بأيديهم فرحاً. وعند الباب، كان «ذو الكوع» الناشف، يطلق صرخات حيوانات ويسعدو الجمهور إلى الدخول. وكان يحمل جمعة خرطوش كأنه يصطاد في مراري سرتاو. لقد اعتقد نهوز نهو أن هذا يستلغ انشاء الناس، وكان «ذو الكوع» الناشف، يشبه حقاً الكائنات السحرية، ببقعته الجلدية، وجمعته الصادية. وزاح يحاكي صيحات الحيوانات حتى اجتمع حوله رجال وساء وأولاد. وحينئذ حمل بعرض بطاقات للدخول كان الآخرون يشترونها. كانت البهجة والمفرح يغمران الساحة بأسرها. وأضواء مضمار الخيول الخشبية تنهع المجمع. وفي الوسط، كان «ذو الرجل الرخوة» مرفصاً يساعد نهوز نهو فراسا في تشغيل المحرك. والمضمار يدور متقللاً بالاولاد. والبياسو الآلي يطحن فساته القديمة: «و «ذو الكوع» الناشف» يبيع بطاقات الدخول.

وفي الساحة، كان ازواج العشاق يتنزهن. وربات المنازل يشتري قطع البويلة (الاسكيو)، والشرابات، وكان شاعر جالساً قرب البحر، ينشد قصيدة طويلة يتغنى فيها بأضواء المضمار وبهجة الأطفال. كان مضمار الخيول الخشبية يضيء الساحة وجميع القلوب. وفي كل لحظة، كان الناس يصلون من الشوارع والزوارب. و «ذو الكوع» الناشف» يحاكي اصوات الحيوانات وهو يلباس الكائنات السحرية. وحين كان المضمار يتوقف عن الدوران، كان الاولاد يجتاحونه ميرزين بطاقات الدخول، وكان من الصعب كبجهم. وحين كان احدهم لا يجد مكاناً له، كانت ملاح وجهه تكنسي زعلاً مخمناً، في حالة قريبة من اليأس، وينطلق واقفاً ينتظر دوره بفارغ الصبر. وحين يتوقف مضمار الخيول الخشبية. كان ممتطو الجياد يرفضون النزول. كان يتوجب حينئذ أن يصرخ «ذو الرجل الرخوة» بهم:

— هيا، اسرلوا! هيا، اسرلوا! أو اسرلوا بطاقة ثانية.

كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لجمعهم يغادرون الجياد الخشبية القديمة، التي لم تكن تنتم أبداً من السباق الابددي. وكان غريمه يركبون المطايا، ويستأنف السباق، وتدور الأضواء، وتنهع جميع الاالوان في لون واحد غريب، والبياسو الآلي يصعب انغامه القديمة.

وكان على المقاعد الخشبية البسيطة أيضاً أزواج من العشاق، وهم، ومضمار الخيول الخشبية الملونة يدور في بهجة ورشاقة شعبة، يتبادلون همساً كلمات الحب. بل كان هناك عشاق ومشوقات يتبادلون قلات شه مختلفة حين يتوقف المحرك هنيهة، وتنطليء الاوار. حينئذ كان نهوز نهو فراسا و «ذو الرجل الرخوة» يمشقان على المحرك ويتفحصان العطل حتى يستأنف الدوران، متلاقين احتجاجات الاولاد. لقد أصبح «ذو الرجل الرخوة»، يعرف جميع اسرار المحرك.

وفي لحظة ما، كان نهوز نهو فراسا يرسل «ذو الرجل الرخوة» ليحل محل «دي الكوع» الناشف» في بيع بطاقات الدخول، وينتج لـ «ذو الرجل الرخوة» فرصة لاستطاء أحد الجياد الخشبية، وكان الغلام الصغير يختار الحصان الذي سبق أن امتطاه لامبار، وكان طوال وقت الدورة: يمضي قافراً كأنه يمتطي حواداً حقيقياً، — وكان يسدد اصعده وكأنه يسقط النار على الاولاد الذين امامه، وكان يراهم في تحيله يستطون في مركة من الدم، تحت طلفاته المتكررة. وكان الجواد بعدو، وتزداد سرعته باستمرار، لكن الغلام كان يقتلهم جميعاً لأنهم كانوا في نظره جنوداً أو مزارعين اغبياء. وإثر ذلك، كان يملك على المقاعد جميع النساء الحسنات، وينهب القوي، والمدن، وقطارات السكك الحديدية، راكباً بصورة حوادة، ومشهراً بندقته.

وإثر ذلك، يأتي دور «دي الرجل الرخوة». كمن يذهب إلى جواده الخشبي الأزرق أو الاحمر، وهو صامت، كان انفعال غريب يستولي عليه. كان يمضي كما يذهب المؤمن إلى القديس. والعاشق إلى صدر المرأة المحبوبة، واليأس نحو الموت. كان يمضي تاحناً، اعرج. ويمتطي جواداً أزرق، يحمل ثلاثة نجوم على كتفه الخشبية. كانت شتاه مزمومتين، وأذناه لا تسمعان موسيقى البيانو الآلي. كان يسري فقط الانوار التي تدور معه، وكان يتعلق بيقين في داخل نفسه بأنه في مضمار من الخيول الخشبية. يدور في دائرة، مثل جميع هؤلاء الاولاد الذين هم أب وأم ومنزل، وأشخاص يقبلونهم، وكائنات تحبهم. كان يتصور أنه منهم، ويغضض عينيه لكي يحتفظ بصورة أفضل هذا اليقين. وهو لم يعد يرى الجياد الديس أو سوعه ضرساً، والرجل لاس السترة الذي كان يصحك. لقد قتله «ذو الكوع» الناشف» في ركوبه. و «ذو الرجل الرخوة» ينطلق على حوادة مهيباً ثابت الجناح. كان يحس وكأنه ينطلق طائراً على موج البحر، صاعداً نحو النجوم، في أروع وحلة في العام وأكثرها اثارة للدهشة. وحلة لم يسبق لـ «الاستاد» أبداً أن قرأ مثلها ولا تحيلها كان قلبه يتنبص بقوة، بقوة إلى حد أنه شد عليه بيده.

في تلك الليلة، لم يأت فرسان الرمال. وليس فقط أن نشاط المضار على الساحة انتهى في وقت متأخر (في الساعة الثانية فجراً كانت الحياض ما زالت تدور)، بل أيضاً لأن العديد من أفراد الفرسان، بمن فيهم بيدرو بالا، و «الشارب اللطيف»، وباراندو، و «الاستاذ»، كانوا مشغولين بشؤون مختلفة. وقد تم انقاعهم، بالنسبة لليوم التالي، على الالتقاء حوالي الساعة الثالثة أو الرابعة صباحاً، وسأل بيدرو بالا، ذا الرجل الرخوة، إذا كان قد أصبح يعرف تشيعل المحرك، وقد أوضح بيدرو قائلاً: - لا فائدة في أن تلحق الاذى بمملكتك.

- لقد أصبحت أعرف كل شيء عن ظهر قلب، وعلى أطراف اصابعي. إنه نموذج للعمل المنهك. وسأل والاستاذ، الذي كان يلعب القمامة مع جواراندي: - ألا ترى أنه سيكون من المناسب، أن نغطف رجلنا إلى الساحة، بعد ظهر اليوم؟ من بدري، قد يكون هناك ما يستحق أن نذهب؟

قال بيدرو بالا أننا من حينئذ سآذهب. لكنني أعتقد أننا لا نستطيع أن نذهب إلى هناك بعدد كبير. فالجماعة يمكن أن يحوايقل لدى رؤيتهم عدداً كبيراً منا، دفعة واحدة. - يقول، الفط، انه لن يذهب في فترة بعد الظهر إنه مشغول، بما أنه سيكون مهتماً قليلاً في مضار الخيول الخشبية.

فقال «دو الرجل الرخوة» ساخراً: - ألا تستطيع أن تقضي يوماً بدون أن تحرك فيه محذيك مع تلك المومس، ما تقولك؟ سيكون مصيرك ناعماً يا صديقي.

لم يحب «الفط». إن جوار غراندي هو أيضاً لن يذهب في فترة بعد ظهر اليوم. إذ أنه قد قرر أن يلتقي به «حبيب الله الطيب» لكي يذهب لتناول الطعام عند دون آينها لامي دي ساستو. وفي النهاية، تقرر أن يذهب قريب صغير للعمل في الساحة. ويستطيع النافون الذهاب حينئذ بشاؤون. وفي الليل فقط، سوف يجتمعون كلهم لانتظار خيول المضار الملوثة. وقال «دو الرجل الرخوة» بمحذراً

- يجب احصاء السرين، اية الغنم، للمحرك. وقام «الاستاذ» (كان قد كتب ثلاث جولات من جوار غراندي) جميع بقود من وفاقه لشراء ليرتين من البنزين: - ساحضر البنزين

ولكن في فترة بعد ظهر يوم الأحد جاء الأب جوزيه بيدرو، الذي كان مس الإلتخاض النادرين جداً الذين يعلمون أي هو اللجأ الأكثر دوماً لـ «فرسان الرمال». وقد أرست الأب جوزيه بيدرو معهم عرى الصداقة منذ زمن طويل. وهذه

الصداقة نشأت بواسطة «الشارب اللطيف»، أحد صبيان العصاوية. وكان هذا الأخير، قد تسلى يوماً، بعد القداس، إلى موهف (١٣) (سكرستيا) إحدى الكنائس حيث كان «الشارب اللطيف» يقوم بالخدمة المقدسة. وكان «الشارب اللطيف» قد دخل إلى هناك لمجرد الفضول قبل أي شيء آخر. هذا العلام لم يكن من الذين يتمتعون كثيراً بشؤون الحياة والسعي إلى الرزق. كان يحب ترك الوقت يمضي، دون أن يكلف نفسه رهقاً كان على الأخص، طفلياً في الجماعة. وفي بعض الأيام، حين يشاء هواه، كان ينسحب إلى أحد المنازل، ويأخذ سه شيئاً ناعماً، أو ينش - عة شخص ما. ولم يكن يقوم أبداً، تقريباً تسليماً لم يسرق لمن اعتادوا اخفاء الاشياء اسروقة، بل كان يحضره. ويسلمه إلى بيدرو بالا، بمثابة إسهام منه في حياة الجماعة. وكان له اصدقاء كثيرين بين جمالي الميناء، وفي مختلف منازل الفقراء في مدينة القش، وفي مواضع عديدة من ولايه نابيه. وكان يأكل على «هاتدة هذا»، ثم على مائدة ذاك، من الناس وبصورة عامة. لم يكن ينثر سأم أحد. وكان يكتفي بإنشاء اللواتي يزدن عن حاجة «الفط» وكان يعرف، أفضل من أي شخص آخر، المدينة وطرقاتها، والمواضع الأكثر إثارة للمصو، وأماكن الاحتمالات والاعباد، حيث يذهب ليشرب ويسرقص. وحين عصي بعض الزم لم يساهم فيه بشيء، فحين في التنظيم الاقتصادي للجماعة. كان يبذل جهداً وينصرف بحيث يحصل على شيء، يعود بالقود، ويسلمه إلى بيدرو بالا، لكنه، في الحقيقة، لم يكن يحب أي نوع من العمل، أشرفاً كان أو غير شريف. وما كان يحبه هو أن يتمدد على رمال الشاطئ، ساعات وساعات، يرصد السفن، والبقاء مقرصاً فترات كاملة لما بعد الظهر على أبواب حوانيت البقالة، مضجاً إلى قصص البسالة التي يرويها عمال أو صيادون. كان يرتدي الاسبال الرثة، ذلك لأنه لم يكن يغيري ملابسه الا حين تسقط خرقة ممزقة. كان يحب التسكع في طرقات المدينة، أرقها وشوارعها، دخلاً إلى بعض الحدائق لتدخين سيجارة، أو إلى إحدى الكنائس لتأمل ما عجاب جمال الذهب العتيق، متشرداً عبر الطرقات المبلطة بمجارة كثيرة سوداء.

في ذلك الصباح، حين رأى الناس خارجين من القداس، دخل إلى الكنيسة دون سرور. ورش طريقه نحو الموهف (السكرستيا) وراح يتنحصر كل شيء، المدام، والقديسين، ووقف يسخر من صورة تمثال القديس نوا، الشديد السواد. لم يكن يوجد

(١٣) موهف (سكرستيا). مكان موعظ فيه زينات الكنيسة، وحيث يرتدي الكهنة ملابسهم الكهنوتية

- ملاحظة من المترجم -

أحد في الموقف، ورأى حلبة ذهبية يمكن أن ندر نقوداً كثيرة. وألقى نظرة اخيرة حوله، فلم ير أحداً. مد يده لكن شخصاً لمس كتفه، كان الأب بيدرو قد دخل:

- لماذا تفعل هذا يا ولدي؟ هكذا سأله الخوري باسماً، في حين كان يسحب من

يده «الشارب اللطيف» الذخيرة الذهبية.

- كنت انظر إليها فقط، يا ابي. انها مزينة... هكذا أجاب «الشارب اللطيف» محسباً ببعض الخوف. وأردف: نعم، انها مزينة تماماً... لكن لا تظن انني كنت سأمرقها بل كنت سأتركها هنا، هكذا، كما هي. انني من عائلة محترمة.

التقى الأب جوزيه بيدرو نظرة سريعة على امهال «الشارب اللطيف» وأغرق بالضحك. ونظر «الشارب اللطيف» نحو أيضاً إلى ثيابه الوثة.

- هذا لأن والدي قد توفي، في الحقيقة. لكنني كنت أدرس في كلية... أنا أقول

الصحيح. ولماذا أسرق هذه الحلبة؟

وأشار إلى الدجيرة الذهبية وأضاف:

- ولي كنيسة أيضاً أنا لست وثيقاً.

ابنهم الأب جوزيه بيدرو ببداً كان يعرف تماماً أن «الشارب اللطيف» يكذب. منذ زمن طويل كان الخوري ينتظر فرصة تمكنه من الاتصال بالأولاد المشردين في المدينة. كان يعتقد أن الرسالة المناطة به هي هذه: مساعدة الأولاد المشردين. وكان قبلاً قد زار مراراً دور الاصلاحيات، لكن المسؤولين عن تلك الدور كانوا يصنعون امامه عقبات وحواجز من كل نوع، لأنه لم يكن يوافق على رأي المدير القائل إن أفضل وسيلة لاصلاح ولد ارتكب ذنباً هي صربه بلا هوادة. ومنذ زم طويل كان الأب جوزيه بيدرو يسمع الاحاديث عن «فرسان الرمال»، ويحلم بالاتصال بهم. وبأن ينضم من هدي جميع هذه القلوب إلى الله. كانت لديه رغبة شديدة جداً بالعمل مع هؤلاء الأولاد، ومساعدتهم على أن يكونوا أحياناً لذلك، عامل «الشارب اللطيف» بأفضل ما استطاع. ومن يدري، فربما بواسطة هذا الغلام سيصل إلى «فرسان الرمال»؟ وهكذا كان.

في الاكليموس، لم يكونوا يعتبرون الأب جوزيه بيدرو كبير الذكاء. بل لقد كان احد أكثر مجموعة كهنة ماهيا تواضعاً. وفي الواقع، فقبل أن يدخل إلى المدرسة الاكليموسية، كان الأب جوزيه عاملاً، لمدة حسن سنوات، في مصنع القماش. وقد قرر مدير المصنع، في أحد الأيام، عند زيارة المطران لهذا المصنع، أن يقدم دليلاً على

سخاء نفسه فأعلن بأنه «نظراً لأن سيدنا المونسنيور يشكو من قلة الدعوات»^(١١) الرهبانية، فإنه أي صاحب المصنع، مستعد لأن يدفع نفقات تعليم طالب في مدرسة اكليموسية، أو نفقات طالب آخر يريد أن يدرس ليصبح كاهناً. عندئذ، اقترب جوزيه بيدرو، وكان يعمل على البول، وقال إنه يريد أن يدرس ليصبح كاهناً. كانت هذه مفاجأة لرب العمل وللمطران على حد سواء. إن جوزيه بيدرو لم يعد شاباً، ولم تكن لديه أية ثقافة. لكن رب العمل، لم يكن يريد، امام المطران، أن يسحب كلامه. وذهب جوزيه بيدرو إلى المدرسة الاكليموسية وجعل تلامذتها يسخرون منه، ولم ينجح أبداً في أن يكون تلميذاً يجتهد. كان سلوكه جيداً، بالتأكيد، ومن أنقذ التلامذة، ومن الذين يرتادون الكنيسة أكثر من سواهم. ولم يكن يوافق على كثير من الامور التي تحصل في الدير، ولأجل هذا كان التلامذة يضطهدونه. ولم يكن باستطاعته فهم اسرار الفلسفة، واللاهوت، واللغة اللاتينية. لكنه كان ورعاً تقياً، وكان يرغب في تعليم سادىء الدين للولاد وللهنود الخمر. وقد عانى كثيراً من الآلام والحداب، وعلى الاحصاء حين توقف صاحب المصنع، بعد سنتين، عن دفع نفقات دراسة جوزيه بيدرو، فاضطر هذا الأخير ليعمل حادماً في الدير لكي يستطيع الاستمرار. لكنه استطاع أن يسام كاهناً فحري الحاقه باحدى كنائس العاصمة في انتظار الخورونية (قربة يجدها كاهن) ومع كل ذلك، فقد كانت رغبته الكبرى هي أن يعلم الأولاد المشردين في المدينة ببادئ الدين، هؤلاء الصبيان الذين كانوا ملا أب، ولا أم، ولا ميرل ويعيشون على السرقة، معرضين لجميع الآثام والأفات. كان الأب جوزيه بيدرو يريد أن يهدي جميع هذه القلوب إلى الله. وهكذا راح يرتاد دور الاصلاحيات، حيث «استقبله المدير، باذي، بدء بلفظ كبير. ولكن حين أعلن الكاهن أنه ضد العقوبات الجسدية. وصد عملية ترك الأولاد فريسة للصوص طوال أيام، حينئذ تغير الوضع، وسارت الأمور بطريقة أخرى. وفي هذا الصدد، اضطر الكاهن في أحد الأيام لكتابة رسالة إلى هيئة تحرير إحدى الصحف. ومنذ ذلك الحين، مُنِعَ (بضم الميم وكسر النون) الأب جوزيه من دخول دار الاصلاحية، بل وقد جرى توجيه شكوى ضده إلى مقر الاشراف. وبسبب كل هذا، لم يتمكن من أن يكون له رعايا ماثرون. بيد أنه كان محسباً من روعه شديدة وكبيرة في التعرف إلى «فرسان الرمال»، إن مشكلة الأولاد

(١١) «الزهرة الربانية» Vocatio أو الأورش الربياني، وهو مداء باطني (شعور الانسان بأنه مدعو للقمام بعمل استعراضي أو ديني خاصة).

- ملاحظة من المترجم -

القاصريين والحافضين، التي لم تكن تهم أحداً تقريباً في المدينة، كانت أكثر هموم الأب جوزيه بيدرو. كان يريد مقارنة هؤلاء الأولاد، ليس فقط لديهم إلى الله ولكن أيضاً لكي يرى ما إذا كان ثمة وسيلة ما، لتحسين حياتهم. كان عمود الأب جوزيه بيدرو صعباً. بل لم يكن لديه أي تأثير ولم يكن يعرف أيضاً ماذا يفعل لكسب ثقة هؤلاء اللصوص الصغار. لكنه كان يعلم أن حياتهم قاذرة لأي رفاه، ولأي حنان: حياة جماعية وتترد. وإذا كان الأب جوزيه ليس لديه سرير ولا طعام ولا ملابس يقدمها لهم، فقد كان لديه على الأقل كلمات عطف، وبالتأكيد كثير من الحب في قلبه يعطيهم إياه وفي البدء، أخطأ الأب بيدرو في نقطة وهي إعطائهم، مقابل التخلي عن الحرية التي يتمتعون بها. وهم متروكون في الشارع، امكانية حياة أكثر راحة ورفاهاً. كان الأب جوزيه بيدرو يعلم جيداً أنه لا يستطيع توجيه هؤلاء الأولاد نحو دار الإصلاحية. فقد كان يعرف جيداً حوازين دار الإصلاحية، القوانين المكتوبة والأخرى التي يجري تطبيقها. وكان يعلم جيداً أنه لم يكن هناك أي اسكان لولد دخل الإصلاحية لأن يصبح طبيباً وشعلاً. لكن الكاهن كان يعتمد على بعض صديقاته. وعن نسوة تقنيات، بل مترمبات، وكريجات المعوس كان في استطاعتهم كماله عدة أولاد من «فرسان الرمال»، في ربيبتهم واطعامهم. لكن هذا الحل كان يعني أن يتخلى هؤلاء الصبيان عن كل ما شكل عصمة حياتهم. مغامرة الحرية في شوارع أكثر مدن العالم اسراراً وأجلاً؛ في شوارع باهيا جميع القديسين. ومنذ أن أقام الأب جوزيه بيدرو بيواسطة «الشارب اللطيف» علاقات مع «فرسان الرمال»، أحس بأنه لو عرض عليهم ذلك الاقتراح، فسوف يفقد كل الثقة التي وضعوها فيه، وأنهم سيقربون مقرهم. وأنه لن يراهم أبداً بعد ذلك الخبي. والحقيقة، أنه لم تكن لديه هو أيضاً ثقة مطلقة في هذه العوالم المساء المتبنيات اللواتي كن يقضين حياتهن مندسين في الكنيسة واللواتي يفتنمن مرات ما بين العذاريس لكي يخلصن في الحديث عن حياة الآخرين. وهو يذكر أنه في البدء خرج مشاغراً حين اقتربت منه، إثر انتهاء أول قداس أقامه في هذه الكنيسة، بمجرده من التقنيات المترمبات، كان واضحاً أنهم يردن مساعدته في خلع ثياب خدمة القداس ورتت حوله صيحات تعجب حنون

- أنها المحرم الصغير. أيها الملاك جبريل...

واقترحت منه عوز، نجمة جداً، وشبكت يديها كما عد العادة وقالت:

- ناصغيري يسوع المسيح المعبود

كان يبدو أنه يصلح له، بل يعبدته، فنار الأب جوزيه بيدرو. وفي الحقيقة،

كان يعلم أن أغلب الكهنة، لم يكبروا يوفصون هذه العناية بهم. بل كانوا يحصلون على هدايا كثيرة من الفرايح والديوك الخندية، والماديل المطرزة، بل وأحياناً ساعات ذهبية يتوارثها عمر الأحيال أولاد عائلته بعينها. لكن الأب جوزيه بيدرو كانت لديه فكرة أخرى عن مهمته، كان يرى أن الآخرين خطئون. واسأل عليه غضب شديد وقال له

- يا سيداتي، أليس لديك شيء آخر تفعله؟ أليس لديك منزل تعمي به؟ انني لست يسوعكم المسيح المعبود. ولا الملاك جبريل... معدن للعمل في منازلكم، أعددن الطعام، وخيفن.

كانت صفادع جرن الماء المقدس يظفون إليه، مذهولات، فكأنه كان المسيح الدحال شخصياً. واهى الكاهن كلامه قائلاً:

- يمكن بمسكن في منازلكم، سوف تخدم سيدنا وإلهنا بصورة أفضل من تشمكين هنا رائحة ثوبنا... اذهبن... اذهبن...

وفي حين كن يحوسن سرعومات، كان يردد قائلاً بجمرة أكثر من الغضب.

- يا يسوعي المسيح المعبود اسم الآله عتاً...

دهنت النسوة التقنيات في حط مستقيم إلى عند الأب كلوفيس، الذي كان يديناً، وأصبلع، ودا مراج موح: كان هو معرفت خانه السيدات وروين له وسط صيحات نوح واندعاش، ما حدث له. تأمل الأب كلوفيس التقنيات المحائر بعين حنون وغزاه قائلاً.

- هذا الأمر سوف ينتهي الأب بيدرو جاء منذ فترة قريبة فقط، فيما بعد، سوف يرى أية بساء قديسات أنتن، فأنتن بنات الرب الحقيقيات سوف تمر الصعوبة.

ادهبن ورتلن «الآبانا» ولا تنسن أن هذا اليوم هو يوم التبريك استعرق الأب كلوفيس في الضحك بعد أن ذهبن. وهمن في دخيلته: هؤلاء الكهنة الحديثو العهد، الطارحون، يكبدرون حياة الناس...

وفيما بعد، أخذت النسوة التقنيات يمشين مقربيات أكثر فأكثر من الأب جوزيه بيدرو. وفي الحقيقة، هم لم يصلح معه أبداً إلى صلة حميمة تماماً إن هيئته المهية، وطيبته التي كانت تكسر للظفوف التي تكون فيها ضرورية، وبغضه للسداس الكهنيونية الصغيرة، كانت تدفعهم إلى أن يجترمته أكثر مما يجيبهم. بيد أن اواصر الصداقة تفرزت بينه وبعض النسوة، وعن بصورة عامة أرسل، أو زوجات لرجال أروياء. وكان سبب آخر يباعده بينه وبين التقنيات المترمبات، وهو أنه كان نقياً

للواعظ المبشر . فهو لم ينحج أبداً في وصف الجحيم بقرة الاقتاع التي كان يملكها الأب كلويس ، مثلاً . كانت لثلاثة الأب بيدرو فقيرة ، وقاشقة في كثير من الأحيان . لكنه كان لديه الإيمان . لقد كان مؤمناً . ومن جهة أخرى ، كان من الصعب التأكيد بأن الأب كلويس يؤمن بالجحيم على الأقل .

في البدء ، فكر الأب جوزيه بيدرو بتسليم « فرسان الرمال » إلى النسوة التقيات . وكان يعتقد بذلك أنه ليس فقط سيقتد الأولاد من حياة بائسة ، بل أنه سوف ينقذ التقيات المتزومات من حياتهن غير المجدية ، بصورة ضارة . كان في وسعه الحصول على أن يكرس اسمهن للأولاد نفس التقى الحار اللواتي يكرسن به أنفسهن للكنائس ، وللكهنة ذوي المدانة . وكان الأب جوزيه بيدرو يحجز (أكثر مما كان يعلم) بأنهن إذا كن يفضين حيواتهن في أحاديث نافعة في الكنائس ، أو في تفسير مناديل للأب كلويس . فذلك لأن هاته العواصم المسنات لم يكن لها ولد ، أو زوج يكرسن له وقتهن وحنانهن . إنه الآن سيأتهن بأبنائه . نقلت هذه الفكرة تراءد الأب جوزيه بيدرو زمناً طويلاً . بل حدث أنه اصطحب اليهن ولداً كان قد فر من دار الاصلاحية ، وذلك قبل زمن طويل من تعرف الأب إلى « فرسان الرمال » ، حين كان يسمع القليل عنهم . وأدت التحرة إلى نتائج سيئة : لقد فر الغلام من منزل العانس المسنة ، أخذاً معه عدة قطع من العصابات ، مفضلاً على الملابس الجميلة والغذاء المضمون . مع واجب تلاوة التسبيح بصوت عال ، وحضور مختلف القداس و صلوات التبريك اليومية - حرية الشارع ، حتى وهو يلبس الاسلح البالية ، وحتى دون أن يكون متأكداً من الحصول على عدا . وفيما بعد ، فهم الأب جوزيه بيدرو أن التجربة قد اخفقت بغطأ العانس المسنة أكثر منها بغطأ الولد . ذلك ، طبعاً ، كما كان يرى الأب جوزيه بيدرو ، لأن من المستحيل تحويل ولد مشرد وسارق إلى فتدلفت لكن من الممكن جداً تحويله إلى رجل شغيل ... وكان يأمل بأنه حين سيتعرف إلى « فرسان الرمال » سيحقق اتعاقاً بين بعضهم والنسوة التقيات ، لمحاولة القيام بتجربة جديدة ، تكون هذه المرة موجهة جيداً . ولكن ما أن قدمه الغلام « الشاب اللطيف » إلى المجموعة ، وحين كسب شيئاً فشيئاً ثقة القسم الأكبر منهم ، رأى أن من غير المجدي كلياً أن يراوده هذا المشروع . لقد أدرك أن هذا المشروع عبثي ، لأن حب الحرية كان الشموخ الأكثر تمهدراً في قلوب « فرسان الرمال » ، وأنه ينبغي استعمال وسائل أخرى .

في الآونة الأولى ، كان الاولاد ينظرون إليه بمجد وريبة . ومراراً عديدة في الشارع ، كانوا يسمعون أن الخوري يأتي بالنحس وسوء الحظ ، وأن التعامل مع الكهنة

هو جيد فقط للنساء ، لكن الأب جوزيه بيدرو كان عاقلاً ، ويعرف كيف يعامل الأولاد . كان يعاملهم كرجال ، وكأصدقاء . وهكذا كسب ثقتهم ، وأصبح صديق الجميع . حتى أولئك الذين ، مثل بيدرو بالا و « الاستاذ » ، لم يكونوا يحبون الصلاة . ولم يلاق صعوبة كبيرة إلا مع « ذي الرجل الرخوة » . وفي حين كان « الاستاذ » وبيدرو بالا ، « اللقط » لا يبدون اهتماماً بأقوال الكاهن (ومع ذلك ، كان « الاستاذ » يحبه كثيراً لأنه كان يحضر له كتباً) فإن « سكر الشعير » و « ذا الكوخ الناشف » وجواو غراندي ، وعلى الاخص الأول ، كانوا يهتمون كثيراً بما كان يقوله ، فإن « ذا الرجل الرخوة » من جهة كان يبدي عداً عنيداً جداً في البدء ، إلا أن الخوري جوزيه بيدرو انتهى به الأمر إلى كسب ثقة الجميع . وهو قد اكتشف على الأقل ، في « سكر الشعير » دعوة رباتية ، واستعداداً ليكون اكثيرياً .

ولكن في فترة بعد الظهر هذه ، نظرت الغلمان بدون ارتياح كبير إلى يحيى الأب جوزيه بيدرو . اقترب منه « سكر الشعير » وقبل يده ، وكذلك فعل « ذا الكوخ الناشف » وحياء الآخرون . وأصبح الكاهن سبب محبة :

- لقد احضرت دعوة لكم جميعاً

أرهمفت الآذان للمسح ودمدم « ذا الرجل الرخوة » قائلاً :

- سوف يأخذ للتعقد أود تماماً أن أرى من الذي سوف يستحي له ..

لكه لزم الصمت ، لأن بيدرو بالا كان ينظر اليه بعصب وابتسم الكاهن ابتسامة طيبة . وحلس على صندوق . ورأى جواو غراندي أن جبة الخوري كانت قدرة وعتيقة . وكانت مرقعة بمخرق كبيرة بالحيط الأسود وكانت واسعة جداً بالنسبة لحفاة الكاهن . وذكر كموه بيدرو بالا الذي ينظر هو أيضاً إلى الجبة . حيث قال بالا .

- ايها الصبيان ، إن لدى الأب جوزيه بيدرو الذي هو صديقنا ما يقوله لكم ، عاش الأب جوزيه بيدرو !

كان جواو غراندي يعرف أن هذا كله ناتج عن الجبة المزعقة والكبيرة جداً بالنسبة لحول الكاهن . وأحباب الآخرون - « مرحى ! . ابتسم الكاهن ، مشيراً بيده ولم يكن حواو غراندي يحول عينيه عن الجبة . وقد رأى أن بيدرو بالا كان زعيماً حقاً ، يعرف كل شيء . . . ويحسن أن يفعل كل شيء . ومن أجل بيدرو بالا ، كان جواو غراندي مستعداً لأن يقطع جسمه مرقاً ، مثل ذلك الزمعي ايلاهوس من أجل بلربوزا ، سيد القرصان . ودس الأب جوزيه بيدرو يده في جيب جنته وأخرج كتاب الصلوات الأسود . وفتحته ، وأخرج من داخله بطاقات ذات العشرة آلاف ريس كل منها :

- هذا، لأجل أن تدبوا جميعاً إلى مضمار الخيول الخشبية الملونة، اليوم، في ساعة اثنا باجيب.

كان ينتظر أن تنهل الروح أكثر، وأن يسود فرح هائل القاعة كلها. ذلك لأنه على هذا النحو سوف يكون أكثر اقتناعاً بأنه عمل بمشيئة الله حين أخذ من الخمسة كروبيروس التي اعطته اباه دوناً غيلهم من سلماً نشراً شموعاً لذبح العذراء، خمسين كروبيروس لاصطحاب فرسان الرمال إلى مضمار الخيول الخشبية. ونظراً لأن وحوهم لم ينتج فجأة، أحس بالحيرة. والأوراق المألوفة في يده. وهو ينظر إلى لصبيان الصغار. وحل يدور بالأشعة (المسترس على أذنيه)، وأراد أن يتكلم، ولم يستطع. ففكر حينئذ إلى الاستاذ. وكان هذا الذي أوضح:

- يا ابني، أنت رجل طيب. كان يريد أيضاً أن يقول إن الأب هو طيب مثل جواو غراندي، لكنه حسب أنه ربما أحس الكاهن بالاستياء لمقارنته بزمجه لكن ما يحدث هو أن ذا الرجل الرخوة. وذا الكوع الناشف يعملان كلاهما في المضمار وكانوا مدعويين جميعاً - ها هذا الاستاذ برعة - من قبل صاحب المضمار الذي هو صديقهم، للركوب عاماً هذه الليلة ونحن لا ننسى لك دعوتك.

كان الاستاذ يتكلم برصانة متبهاً كلماته، معتقداً أن اللحظة حساسة. حازراً أشياء كثيرة. وكان يدور بالأشعة بايافة من رأسه.

- سيكون ذلك مرة أخرى لك لتغضب لأننا لم نقبل الدعوة من تعصب، ليس كذلك؟

وراح ينظر إلى الكاهن الذي عاود وجهه العرج.

- كلا، لن أغضب. وسكون دعوتي لكم في مرة أخرى.

وبصر إلى الأولاد سائلاً

- هل سيكون الأمر أفضل هكذا لأن النقود التي.

وصفب عنه امام ما كان سيعمل واعتقد أنه ربما كان هذا عبرة من الله وتوبيهاً. بأنه. أي الكاهن قد ارتكب عملاً سيئاً. وكانت نظيرته من العراية بحيث أن الأولاد اقربوا منه خطوة.

كانوا ينظرون إلى الكاهن دون أن يهموا. وروى يدور نالاً ما بين حاجبيه كما لو أن عليه حل مسألة. وحاول الاستاذ أن يتكلم. لكن جواو غراندي فهم كل

شيء. ومع أنه كان أقل ذكاء من الجميع

- هل كان هذا مال الكنيسة يا ابنت؟

وعض فتيه، غاضباً من نفسه

لقد فهم الباقون. واعتقد سكر الشعر أن هذه كانت خطيئة كبيرة، لكنه أحس بأن طيبة الأب تنتطلي الخطيئة. وحينئذ جاء ذو الرجل الرخوة، وهو يعرج أكثر من العادة، كأنه قادم وهو يصارع ذاته. ووصل إلى قرب الكاهن، وكان يصرخ تقريباً في البدء، مع أنه خفض صوته كثيراً إثر ذلك.

- نحن نستطيع إعادة النقود إلى حيث كانت. لا عليك، فلا تهم. وانتم الغلام.

إن انشامة ذي الرجل الرخوة والمدة التي كان الكاهن يقرأها في عيون الجميع (اليست هذه دموماً، تلك التي يراها في عيني غراندي)؟ قد أعادنا إليه الهدوء، وصماء النفس، والثقة سادته وبألفه. وأجاب بصوته الطبيعي:

- إن أرملة مسنة، قد اعطتني خمسة كروبيروس نشراً شموعاً وأخذت خمس كروبيروساً منها لكي تركوها لخيول المضمار الخشبية. وسبحكم الله ما إذا كنت قد أحسست العمل. والآن سوف اشترى شموعاً بالمبلغ كله.

كان يدور بالأشعة بحسب أن عليه ديباً يؤديه نحو الكاهن. كان يريد أن يعرف الأب إن جميع يفهمونه. وإذا لم ير أية وسيلة، غير هذه، فقد استعد للتخلي عن العمل الذي كان ممكن أن يسبح خلال فترة بعد ظهر ذلك اليوم، ودعا الأب:

- سذهب إلى المضمار لرؤية دي الكوع الناشف، وذي الرجل الرخوة، الآن في فترة بعد الظهر. فهل تريد أن تأتي معنا يا ابنت؟

واض الأب حوزية يدور، لأنه كان يعلم بأن هذا يشكل خطوة إلى الامام في علاقته الخمسة مع فرسان الرمال. وهكذا ذهب جماعة مع الكاهن إلى الساحة. وامتدح العديدون عن الذهاب، من فيهم القط الذي ذهب لزيارة دالفا، لكن لتدبر ذهبوا إلى المضمار، كانوا يدورون مثل فريق من الأولاد الصغار الطيبين المعاندين من درس قواعد الدرس. ولو كانت تباهم جيدة ونظيفة، لكان المرء يهسبهم تلامذة مدرسة دجنية. لفرط الترتيب الذي كان يلف صفهم.

في الساحة، دوا مع الكاهن يتعرجون على كل شيء. وأشاروا باعتزاز إلى ذي الكوع الناشف الذي كان يحاكي أصوات الحيوانات، وإلى ذي الرجل الرخوة الذي كان يدور مضمار الخيول الخشبية وحده. لأن تهوربوا كان قد ذهب لاحياء لمرء في إحدى احاثات. ولسوء الحظ أنه لم تكن الاضواء مشعلة في فترة بعد الظهر لم يكن ذلك حسناً كما هي الحال في الليل حين تدور الاضواء سائقاتها المشعة المتعددة الألوان! لكنهم كانوا معتبرين - دي الكوع الناشف، الذي يحاكي أصوات

الحيوانات، و « ذي الرجل الرخوة » الذي كان يدير مضمار الخيول الخشبية، ويقوم بأصعاد الأولاد إلى صهوات الخيول، ثم ينزلهم عند انتهاء دورهم.

وقام « الاستاذ » بقلم صغير، وغطاء، برسم « ذي الكوع الناشف » في بذلة Phibustier قرصان. كانت لدى « الاستاذ » موهبة خاصة في الرسم، وأحياناً كان يكسب نفقوداً برسمه على الرصيف أشخاصاً يهرون، وفتيات صبايا أنشاء سرورهن مع خاطبهن. .. وكان هؤلاء يتوقعون لحظة، ويتمنون النظر بالرسوم غير المحددة بعد، ويقولون:

- هذا رسم مشابه جداً...

وكان « الاستاذ » يلتقط القروش ويستمر حينئذ في ورشة الرسم المخطط بالظهور، ونوسيه، وتصوير المارة من الرجال والنساء المتدلات، إلى أن يطرده الشرطي من الحادة. وأحياناً، كان المارة يتحمسون قرب الرسام، متأملين في رسومه، وكان بعضهم يقولون:

- هذا الولد ذو موهبة واحدة وحسرة أن لا نتم الحكومة بهذه المواهب.

وكانوا يتحدثون عن حالات أولاد من الشارع، مدت لهم بعض العائلات بد المساعدة. فأصبحوا شعراء كباراً، ومغنين، ورسامين.

أمي « الاستاذ » رسمه (التي ادراج فيه مضمار الخيول الخشبية، ونهوضه فرانسوا السكران حتى الانطفاء) وأعطاهم للكاهن. وكانوا قد شكلوا جعباً قريباً كثيفاً، وراحوا يصورون إلى الرسم الذي كان الكاهن يمتدحه، حين سمعوا.

- ولكن هذا هو الأب جوزيه بيدرو ..

وسددت العانس المسة نظارتها المفردة نحو الجماعة مثل ملاح حرابي وليث الأب جوزيه بيدرو شه مرتك، وكان الأولاد ينظرون بغضول إلى عظام رقة المعجوز وصدرها، حيث كانت حلبة تحية لتلأل في ضوء الشمس. وكانت لحظة لث الجميع فيها صامتين. إلى أن استعاد الأب جوزيه بيدرو صحاخه، وقال:

- مساء الخير، أيتها السيدة مرعريت.

لكل الازمة مرعريت سانتوس سددت نظارتها الذهبية المفردة، مجدداً.

- أليست تجبل لكورتك في هذا المكان، يا أستي؟ أليست كاهناً للرب؟ رجل في

مثل مسؤوليتك وسط هؤلاء الارباش

- إنيهم أطفال يا سيدتي ..

جدخته المعجوز بظرة مستعيلة. ورسم فيها تعبير ازدراء. وأردف الأب قائلاً.

- لقد قال المسيح « دعو الأطفال بأنون إليّ... »

- أطفال... أطفال... وبصقت المعجوز

- لقد قال الرب شقي هو الذي يبني إلى طفل.

ورفع الأب جوزيه بيدرو صوته فوق ازدراء المعجوز. وقالت هذه:

هؤلاء ليسوا أطفالاً، إنهم لصوص أئدال، لصوص. هؤلاء ليسوا أطفالاً بل

يمكن أن يكونوا من أفراد « فرسان الرمال » .. ورددت قولها هذا بازدياء

راح الأولاد ينظرون إليها في فصول. كان « ذو الرجل الرخوة » العائد من

المضمار، مضراً لأن نهوضه فرانسوا كان قد عاد، ينظر إلى المعجوز بغضب. وخطا

بيدرو بالا خطوة إلى الأمام، وأراد أن يوضح...

- لقد أراد الأب فقط أن يسا...

- لا تقترب مني، لا تقترب مني، يا قدارة! ولولا الأب، لاستدعيت شرطياً.

وأطلق بيدرو بالا ضحكة فاصحة، حين فكر بأنه لولا وجود الخوري، لكاتب

المعجوز قد ففدت الحيلة الذهبية وحتى النظارة بالسداد. وابتعدت المعجوز ببسة

استعلاء كبير، بعد أن قالت للأب:

- على هذا النحو، لن نذهب بعيداً. يا أبت، انني أكثر لملقاتك.

كان بيدرو بالا بضحك بصورة أشد، كل مرة، والكاهن هو أيضاً استعرق في

الضحك، وإن كان قد أحس بالألم من أجل المعجوز. لعدم تفهمها لكس مضمار

الخيول الخشبية كان يدور، بمحلاً بأولاد غلاص حيدة، وشيئاً شيئاً استدارت عيون

« فرسان الرمال » نحو المضمار، وامتلات مرغبة انعطاف الخيول الخشبية، والدوران مع الأصواء

وفكر الأب: إنهم أطفال، نعم.

في بدء الليلة، هطل عارض من المطر لكن الغيوم تلاشت بسرعة من السماء.

وبلألت الحوم، وتأنق البندر. وعد القمر، وصل « فرسان الرمال ». وسير « ذو

الرجل الرخوة » المحرك، ونسوا أنهم لا يشهون الأولاد الآخرين، ونسوا أنهم ليس

هم أب ولا أم ولا مول وأنهم يعيشون من السرقة، كرجال، وأن المدينة تحشى بأسمهم

كلصوص ونسوا أقوال المعجوز دات النظارة المفردة سوا كل شيء، وأصبحوا

مشاهير لجميع الأولاد، متميلين حول المضمار الخشبية. دائرين مع الأصواء. كانت

الحوم تتلأل، وتأنق القمر البدر. ولكن فوق كل شيء كانت تتلأل في ليل ماهيا،

هذا، الأصواء الزرقاء والخضراء، والخضراء، المضمار الخيول الخشبية الياباني

عجائب الجواني

ألقى بيدرو بالا قطعة نقود من أربعةة ربيس نحو جدار الجمر ك؛ فسقطت قرب قطعة « الشارب اللطيف ». وأثر ذلك، ألقى « سكر الشعير » قطعتة؛ فاستقرت القطعة قرب قصعتي بيدرو بالا و « الشارب اللطيف ». وكان هذا مقررصاً، يترقب. ونزع السبجارة من فمه

« هذا ما يروق لي. البند بصورة ميتة. وتابعوا اللعنة، لكن « الشارب اللطيف »، و « سكر الشعير » غصراً قطعتي الأربعةة » ربيس « اللش وضعها بيدرو بالا في جبه قائلاً:

« أنا شخص محفوظ كما يبدو. أماسهم كانت ترسو روارق الشخن. وكان رجال ونساء يخرجون من السوق كانوا مطرون لفترة بعد الظهر هذه زورق و حبيب الله الطيب ». وكان المصارع - الراقص، ومهسه صياد سمك يعمل في أحد المصائد. وتابعوا لعبهم بالنقود حتى « نظلف » بيدرو بالا التلاعس الآخرين من النقود. كانت البذبة على وجهه تلتفع. كان يجب أن يكسب على هذا السجو في لعبة زربية. لا سيما حين يكون شركاء اللعب بقوة « سكر الشعير » (الذي كان زمناً طويلاً يطل الجماعة، وبثقة « الشارب اللطيف » وحين انتهوا، فلب « لشارب اللطيف » جيوته.

« سوف نقرصي، ولو قرشاً واحد. إذ لم يبق لدي فلس واحد... إثر ذلك، تطلع نحو البحر، والقوارب في المرسى:

« إن « حبيب الله الطيب » سوف يبحر في فترة بعد الظهر. هل ستذهب نحو حوص المباءة؟

« أحب « سكر الشعير » بأنه سينتفر « حبيب الله الطيب » لكن بيدرو بالا ذهب مع « الشارب اللطيف » نحو حوص المباءة. واختاراً شوارع المباءة، وغربساً اقتدامها في الرمل. وكانت سبعة سحو من العنبر الخامس، وسيل من الناس يروحون ويحيئون. وسأل بيدرو بالا « الشارب اللطيف »:

« ألا ترعب في أن تكون محاراً؟

« كما ترى « إنني مرتاح هنا. كلا، لا أريد أن أبحر
« أما أنا، فأريد ركوب البحر. جبل أن يتسلق المرء صارباً. والمعاصمة، أليست حبة؟ « ألا تذكر تلك العصاة التي قرأها لنا « الأستاذ »؟ والتي فيها عاصمة ١٢
« أحل، إنها قصة جيله!

كان بيدرو بالا يتذكر القصة و « الشارب اللطيف » كان يرى من الحفاقة معاودة ماها، حيث سيكون من السهل جداً، حين يكثر، أن يعيش حياة سهلة للفلاح قاطع عريق (مالاندرو)، خبجته في سطاله، و قنارته تحت ذراعه، و فتاة سمراء، يدها على الرمال كانت هذه هي الحياة التي شتمها حين يبلغ من الرجال.

وصلا إلى بوابه العمر رقم ٧. كان حان دادام. وهو عامل ميناء زنجي، منين البنية. ومصاص قديم للاصرامات، مرهوب الخاف و محب من جميع الحارة، كان حاليماً على صدوق كان يدخن العلبون وعصلاته بارزة تحت القميص. وحين رأى العلبامين. حياها

« انصروا! إنه الصديق « الشارب اللطيف »، والزعيم بيدرو بالا
كان يسمى سدرو، الزعيم بيدرو « وكان يجب الكلام معه. وأصبح مكاناً على صدره سدرو بالا و فرقص « الشارب اللطيف » ونجاهه. وفي زاوية كانت زعجية مسة سبع ثمار « نرتشال، ومرى حور الهند، وهي تلس نشورة هندسية. وقصيصاً صغيراً يكسف عن ثديها الصديق رعم سها. وكان « الشارب اللطيف » يتعخص شديدي الزعجية في حين كان يقصر برفقاة المطعها من الطوق:

« ما زالت لديين، مدمة مسرح، مريجة، أليس كذلك يا خالة؟
استنمب لزعجية قاتلة.

« أولاد اليوم هؤلاء لم يعودوا يحترمون الأشخاص الأكبر سنأ منهم، أيها الرميل حان دادام ». أين رأينا قبل اليوم علماً بهذه الس، يتكلم عن التهديين مع عجور صبيسه مثلي؟

« لا تتظاهري بالتقاعد يا خالة انك ما رلت تفعلينها بصورة جيدة.
صحكت الزعجية من صميم قلبها، وقالت:

« لقد أفضلت الدكان، أيها « الشارب اللطيف ». لقد تجاوزت تلك الس أسأل عنداً وأشارت إلى جان دادام. لقد رأيتها حين كان ولداً متلك؛ لقد قاد الأضراب الأول. هنا، في حوص المباءة « في ذلك الزمن لم يكن أحد « يا للشيطان، يعرف ماذا

بعض الاصراب هل تذكر ايها الصديق؟

هـ: حان دادام رأب، علامة الموافقة، وأعصم عينيه متذكراً الايام البعيدة. أيام الاصراب الأول، الذي فاده على أرضة الميتاء. كان هو من اقدم عمال المرفأ، رغم أنه لم يد بعد طاعاً في الس وقال بيدرو بالا

ـ الرعي اذا اصس شعره، يعيش ثلاثين عاماً مصروية بثلاثة^(١٥). وكشفت الرغبة عن حرتها الصروفية البيضاء، وذلك بعد أن سحبت عنها المدبيل الذي كان يحيط بشعرها، ومارحها «الشارب اللطيف» قائلاً.
ـ لهذا نضمن هذا المدبيل، أه اينها الزجبة اللأى بالتصنع وسأخا جان دادام.

ـ هل تذكرين ريمون، أينها الام لويزا؟
ـ «الاشقر» الذي قتل في الاصراب؟ وكيف لا؟ أجل، إني اذكر! كان احد الدين يأتون كل يوم بعد الظهر، للتحدث قليلاً معي كان يجب المراح..
ـ لقد فتلوه هنا باللدات، في ذلك اليوم حين سحقت الحياطة العمال وسفر إلى بيدرو بالا، وسأله.
ـ ألم تسمع الحديث عنه أبداً؟ أيها الزعيم؟
ـ كلا

ـ كنت أتب حيثش في اربعة من العمر. بعد ذلك، قصبت است عاماً في منزل تنحس بعد أحر إلى أن هربت وإثر ذلك، لم يسمع بأسائك إلا حين اصبحت زعياً لعرسان لرماني. لكسا كن نعلم أنك سوف تنصن من تدبير شؤونك تسلك كم عسرك الآن؟

أحد بيدرو يقوم بحسابات وقاطعه حان دادام.
ـ إبتك في الخامسة عشرة، أليس كذلك يا أماء؟
أحابت الزجبة بالايجاب وتبع حان دادام كلامه:
ـ اسوم الذي نشاء، لك مكات هنا، على أرضة الميتاء هب مكان للعمل، منحور لك

(١٥) ميل شعري براويل

ـ ملاحظة من المترجم -

ـ لماذا؟ هكذا سأل «الشارب اللطيف»، الذي اقلقته نظرة بيدرو المذهولة:

ـ لأن ريمون هو أوره، ولأن مات هنا قتلاً، ماصلاً من أحنا، وفي سبيل حقنا نحن لقد كان رجلاً وأكثر كان بساوي عشرة رجال من أولئك الدين براهم اليوم هنا

ـ أهراني؟ هكذا سأل بيدرو بالا، الذي لم يسمع عن هذه القصص، سوى اشاعاب عامصة

ـ بعد، هو أوك كان يلقب بـ «الاشقر»، وحين اندلع الاصراب، كان يلقي خطفا علينا، بحث لا يمكن الاعتماد أبداً أنه عامل ميتاء، لقد أصب برصاصة ولكن هناك مكان لك على أرضة الميتاء.

كان سدرو بالا سمح الاسفلت بمصاه. وتطلع إلى حان دادام

ـ لماذا لم تخدني أبداً عن هذا الامر؟
ـ لقد كنت صعباً بحث لا يمكن أن نهم. والآن لقد أصبحت أنت رجلاً..
وصحك حان دادام بارتباح

ضحك بيدرو بالا هو أيضاً لقد احس بالسعادة لمعرفة قصة أبيه، لأن هذا كان رجلاً شجاعاً. لكن العلام سدرو سأل في تمهل.

ـ وأمي، حل عرفتها؟
فكر حان دادام. برهة، ثم قال

ـ كلا، كنت ادري حين تعرفت إلى «الاشقر» لم يكن لديه زوجة لكنك كنت تعيش معه.
ـ أما أنا فقد عرفتها.

كاتب الرعيه هي التي تكلم. وقالت. لقد كانت امرأة عجيبة جداً (شقيقة حلة!) وراحت قصة نان والدك قد اختطفتها، وأنها كانت من أسرة غنية من الأغالي، هناك. وأشارت إلى المدينة العاليه وقد ماتت وكنت أنت لم تتجاوز الشهر السادس من عسرك. في ذلك الحين، كان ريمون يعمل في معمل السحائر، في ايتابايب. بعد ذلك، جاء، أي أرضة الميتاء.

ورد حان دادام. مرة أخرى

ـ حين تربت...

هر بيدرو بالا رأسه بالايجاب. ثم سأل

ـ كان ذلك عملية هائلة، الاصراب، أليس كذلك؟

وراحوا يصغون إلى جان دادام وهو يتكلم عن الأضراب. حين انتهى، قال بيدرو بالا:

- أنا، أحب قيادة أضراب. سيكون هذا شيئاً عظيماً.

ودخلت ماخرة. فتهض جان دادام واقفاً:

- الآن سوف يشحن هذه السفينة المولتدية.

كانت السفينة تصفر أثناء مناورات الرسو. ومن جميع الزوايا كان يصل عمال موانئ، ينجهون نحو العنبر الكبر. ونظر اليهم بيدرو بالا بمحان. كان أبوه واحداً منهم، وقد مات دفاعاً عنهم. كان إير، هناك، رجال بيض، وخلصيون، وزنوج، زنوج كثيرين. انهم سيملاؤن خزانات السفينة بأكياس الكاكاو، وشحنات من النع، والسكر، ومن جميع منتجات ولاية باهيا، هذه المنتجات التي سفر حل إلى أوطان نائية، حيث سيقوم رجال منهم، وربما طوال القامات، وشقر، بتفريغ السفينة، تاركين خراصات فارغة. لقد كان أبوه واحداً منهم. الآن، فقط، أصبح يعرف ذلك. ولأجلهم، ألقى خطباً، واقفاً فوق صندوق، لقد قاتل، وأصيب برصاصة حين هاجم الحدود الحياطة العمال المضربين. وربما كان دم أبيه قد سال هنا بالذات، حيث يجلس هو. بيدرو بالا. راح الغلام يمدق في الارض المكسوة الآن بالاسمنت. تحت هذا الاسمنت لا بد أن يكون الدم الذي سال من جسد أبيه. لأجل هذا، فإن مكانه ما زال محفوظاً على أرضه الميناء، يشغله يوم يشاء، بين هؤلاء الرجال، المكان الذي كان لأبيه. أيا حياة شاقة، هذه الحياة مع شحنة تسعين كيلوغراماً على الكتفين. لكنه على هذا النحو، سيكون بإمكانه أن يقود أضراباً. مثل أضراب أبيه وجان دادام، وأن يقابل الشرطة، وأن يموت من أجل حقوق الآخرين. وهكذا سينتقم لأبيه، ويساعد هؤلاء الرجال في النضال من أجل حقوقهم (كان بيدرو بالا لديه فكرة غامضة عن معنى هذا الامر) كان ينصور نفسه في أضراب، يقاثل. وكانت عيناه تبتسمان كما تبتسم شمعات.

وقاطع جلسته. «الشارب اللطيف» الذي كان يمتص الرغافة الثالثة:

- هل تذكر في موت المحلة التي عدتلك، أيا الاخ العجوز؟

نضرب الرغبة المحوز إلى بيدرو بالا بمحان.

- هذا رأس أبيه. إلا أن شعره يمتد، مثل شعر أمه. ولولا هذه الدبة على وجهه،

لما احتجنا إلى صورة للرؤية ريمون، أبيه. انه رجل وسم!

صحك «الشارب اللطيف» بين أسنانه. وسأل كم يتوجب عليه غنى للرتقال، ودفع

مئتي ريبس. ثم نظر بجداً إلى نديمي الزنجية وسأل:

- أليس لك اسنة، يا خالتي؟

- ولماذا تريد أن تعرف. أيا البانس؟

صحك «الشارب اللطيف»:

- كان مسنطاطني أن اتدبر امرى معها...

وقدفته الزنجية بفردة حدائها العتيق. وتجب «الشارب اللطيف، الضربة.

- لو كان لي بنت، لما كانت لمفارك، أيا النافه!

ثم تذكرت:

- أئن تذهب اليوم إلى الغائتوا^(١٦)؟ سيكون احتفال عظيم. انه عبد أومولو.

- هل سيكون هناك عمام كثير؟ وشراب، الألو،^(١٧)؟

- سيكون منها الكثير

وتأملت بي بيدرو بالا، ثم سألته:

- لماذا لا تذهب انت أيضاً، أيا الابيض؟ إن أومولو ليس فقط قديساً للزوج.

إيه قديس جميع الفقراء.

مد «الشارب اللطيف» يده بإشارة تحية، حين تحدثت الزنجية عن أومولو، الالهة الجديري كان المساء يهبط. واشترى رجل مربي جزر الهند. وأضاءت الانوار بنفة، وبعثت الزنجية. وساعدها «الشارب اللطيف» على وضع طبقها على رأسها. وفي البعيد. ظهر «سكر الشمر» برفقة «حبيب الله الطيب». ونظر بيدرو بالا مرة أخرى إلى الرجال الذين كانوا، على أرضه الميناء، يشحنون البالات على السفينة المولتدية. وعلى ظهور الزنوج والخلابيين العريضة كانت تتلألأ قطرات العرق وكانت الرقاب المستعصلة (تشديد الضاد وفتحها) تحضي بجنية تحت الشحنات. وبكرات الروافع تندور بمدة صحة شديدة. أن يكون يوماً في أضراب مثل أبيه النضال والقتال من أجل الحق. في أحد الأيام، عند باب الميناء، على الارصفة، سوف يستطيع رجل مثل جان دادام أن يروي قصته لأولاد آخرين. كما يروي الآن قصة أبيه. كانت عيناه

(١٦) الغائتوا: أحد احياء باهيا.

- ملاحظة من المترجم -

(١٧) ألو Aloo، مشروب باهياي، يصنع من الرغيبيل. وضعه من احتصاص الزوج.

- ملاحظة من المترجم -

يبدو بالاً تلتمعان بضوء قوي في الليل الذي ساد منذ قليل.

ساعدها وحبب الله الطبيب في تغريغ صيدة السمك، التي كانت جيدة. وقد ساعده بها، واشترى صيدة الاسماك كلها رجل صاحب مسكة في السوق. اثر ذلك، ذهبوا لتناول الطعام في رستوران قريب. وذهب وسكر الشعر، إلى الأب جوريه بيدرو الذي كان يعلمه القراءة والكتابة. وقبل ذلك، مر الغلام بالمستودع، ليأخذ منه علبة أقلام كان قد نزلها في الصباح، من إحدى المكتبات. واتجه بيدرو بالاً، و«الشارب اللطيف»، و«حبب الله الطبيب»، نحو «كاندولينييه»^(١٨) فسي «عائتها». (وهذا الأخير كان أوغانياً^(١٩)) حيث ظهرت الالهة «أومولو» وشبابها الطفوسية الحمراء وأعلنت لأولادها الاعزاء الصغار الفقراء، أن البؤس سينتهي عما قريب، وأنها سوف تنشر الجديري بين الأغنياء، وأن الفقراء سيأكلون الغذاء الجيد، وسيكونون سعداء. كانت الاتاباتات^(٢٠) تعرف في ليلة «أومولو». وقد أعلنت هذه أن يوم انتقام الفقراء.. يأتي كانت الزيجيات يقرصن، والرجال مبتهجين. أصبح يوم الانتقام قريباً.

راح بيدرو سالا يسير عبر شوارع المدينة بمجمعه، إذ أن «الشارب اللطيف» و«حبب الله الطبيب» قد ذهبا لتلصق في حفلة راقصة للزئوج الفقراء. ونزل بيدرو في الطرقات المتحدرة المؤدية إلى المدينة السفلى. كان يسير ببطء، وكأنه يحمل ثقلاً في داخله، كان يضيء وكأنه منح داخل ذاته كان يفكر في حديث بعد الظهر هذا، مع جان دادام، هذا الحديث الذي أجهجه لأنه أصبح يعرف بعد الآن أن أباه كان من شحمان المرفأ، رجلاً ترك قمته. لكن جان دادام تحدث أيضاً عن حقوق عمال الميناء. ولم يبق أبداً ليبدو بالاً أن سمع قلاً الحديث عن هذه الحقوق، ومع ذلك فقد مات والده من أكلها. وبعد ذلك، في احتفال ما كوسيا في حي غانتوا. قالت الالهة «أومولو»، اللابسة زينتاتها الحمراء إن يوم انتقام الفقراء أصبح قريباً. كل هذا كان يرهق قلب بيدرو بالاً. كما كانت هذه الاحمال التي يزن كل منها مثني كيلوغراماً، ترهق صدر حالي المياه.

(١٨) كاندولينييه هيا، وعند دبي لدانة الروح الوثنية.

- ملاحظة من المترجم -

(١٩) أوعاي Open. عصر تابع لا إحدى كنائس مايا العنينة (شبه الوثنية Fechtelness).

(٢٠) اتاباتات، جمع اتابات Atabeque، وهو آلة موسيقية يستعملها الزئوج أثناء احتفالاتهم الدينية.

- ملاحظة من المترجم -

حين وصل إلى أسفل المتحدر، اتجه نحو الرمال محسباً بالرغبة بالذهاب إلى المستودع وليرى أذا كان سينام. وسع عند مروره كلب، طائناً أنه سينازعه على العظمة التي كان الكلب يقضمها. وفي آخر الطريق، لمع بيدرو بالاً بشعاً غامضاً يتحرك. كان كأنه امرأة تسارع الخطى وحرك جسمه، جسم الغلام الغني كما يتحرك حيوان فتي لرأى انثى، ويتخطوات سريعة. اقترب من المرأة التي كانت الآن تدخل إلى ناحية الرمال. وأز الرمل تحت قدميه، ولاحت المرأة أن هناك من ينهبها. وكان بيدرو بالاً يستطيع أن يراها جيداً حين كانت تمر تحت ضوء الفوانيس. كانت زعيمة صغيرة فتية تماماً، في حوالى الخامسة عشرة من عمرها، ربما في مثل منه، لكن نهديها كانا ينجان حادين، وأليبتها ترقصان تحت الثوب، ذلك لأن الزيجيات حتى حين يسرن بخطوات طبيعية، يبدو أنهن يقرصن. وتنامت الرغبة لدى بيدرو بالاً: رغبة تضاف إلى أمنية يحس بها الخنق القلق الذي ينتقل على صدره. ولدى تفكيره بالتي الزعيمة الصغيرة الثابنتين، لم يعد يفكر في موت أبيه المدافع عن حقوق العمال المضربين، ولا في الالهة «أومولو» الداعية إلى الانتقام في احتفال العبيد والناس الفقراء. كان يفكر في القاء الزعيمة الصغيرة على الرمل الناعم، ومداعبة مهديها الضليل (ربما كانا تهديين بكرين، وهما على كل حال نديانت صغيرتان) وامتلاك جدها الدافئ، جده الرغبة.

وسارع في خطاه، لأن الرغبة الصغيرة كانت تبعد عن الطريق التي تختار الرمال، للدخول في هذه الرمال، مبتعدة، أي الفتاة، من مراكز الاضواء. ولكن حين لاحظت أن بيدرو بالاً يصبح في كل مره اقرب اليها، انطلقت إلى الامام، شبه راقصة وفهم بيدرو أنها داهية نحو إحدى هذه الطرق القائمة وراء المستودع، الصائبة بين الجبل والبحر، وأنها، إذا كانت تختار ناحية الرمال، فذلك لتقصير الطريق، والفرار منه بسهولة أكثر. كان الصمت يسود المرفأ كله، وأزيز الرمل وحده تحت الحصى كان يجعل قلب الرغبة الصغيرة يرتعش من الرعب، وقلب بيدرو بالاً ينضض لشدة الشهوة. لكنه، عند كل خطوة، كان يفكر اقرب اليها، وبعد عشر خطوات، سوف يصل اليها. وكان عليها أن تسير كثيراً قبل أن تصل إلى المستودعات القائمة وراء الرمال والطرقات المتاخمة لها. كان بيدرو يبتسم، سارراً على استنائه، مثل حيوان مفترس يطارد في الصحراء حيواناً آخر يريد به رغبة له.

وحين كاد يرفع يده لليلس كنفها وليرى وجهها نحوه، راحت الرغبة الصغيرة تركض. معداً بيدرو بالاً في الرها، وأدركها بعد قليل. لكنه كان يطلق بسرعة كسرة بحيث أنه اصطدم بها، وتدرج الانسان على الرمل. وهض بيدرو سوسة،

ضاحكاً ، وأصبح قربها ، وهي تستعد للنهوض .

- لا داعي لوقوفك ، يا جميلة ، وصلحك جيد هكذا .

- ماذا تريد مني ؟

- لا تتعجرفي ، أيتها السراء . سوف نتحدث قليلاً

أسكت بذراعيها ، وقلبي ثانية على الرمل . واحتانها خوف معدداً ، خوف مجنون . كانت قادمة من بيت حدثها ، وعائدة إلى بينها ، حيث تنتظرها أم وأخوات فلماذا تأخرت حتى الليل ، ولماذا حازفت بالسري على رمال المرقأ ؟ انها لم تكن تعلم أن رمال المبناء هي سرير الحب لجميع اللصوص . وجميع البحارة ، وجميع فرسان الرمال ، وجميع الذين لا يستطيعون أن يحصلوا على امرأة في ظروف طبيعية ، والذين يتعطشون إلى حسد في مدينة ماهيا المقدسة . لم تكن تعرف شيئاً من هذا ، كانت بالكاد في الخامسة عشرة من العمر . وكانت قد بلغت مبلغ النساء منذ زمن وجيز . ويبدو بالآ كاه هو أبصاً بالخامسة عشرة ، ولكن منذ زس طويل أصبح يعرف ليس فقط الرمال وأسرارها ، بل أيضاً جميع أسرار الحب ، وذلك لأنه أنه كان الرجال يعرفون هذه الاسرار قبل أن تعرفها النساء ، فإن فرسان الرمال كانوا يعرفونها قبل أي رجل آخر . كان يبدو مالا يريد الفتاة لأنه . منذ زمن طويل ، كان يحس برغبة الرجل ، وكان يعرف مداعبات الحب . وهي لم تكن تريد ذلك لأنها أصبحت امرأة منذ زمن قليل ، وهي سعي أن تكسر حدها خلاصي يتمكن من الحصول على حبها . ولم تكن تريد سلم نفسها هكذا لأول عابر طريق يلتقي به على الرمال . وظلت هنا وعيناها منطفتان من الخوف . وأمر يبدو مالا يده على شعر الزنجية الصوفي .

- أنت شقيقة رائعة ، يا سراء . سوف نصنع نحن الاثنين ولداً صغيراً جميلاً .

وصارعت لئلا يتعادعه

- دعني ، دعني أياها البائس .

وراحت تنظر حولها لترى إذا كان هناك شخص تستنجد به ، وتستطيع أن تطلب غوته ، شخص يساعدها للاحتفاظ بيده البكرية التي قيل لها انها ثمينة . ولكن ، في الليل ، على رمال ساحل ماهيا ، لا يرى شيء ، باستثناء الشباح ، ولا تسمع سوى نهيدات الحب ، وتساقيط أجساد متعاقبة على الرمل .

أخذ بيدرو بالآ يداعب ثدييها ، وكانت هي ، من أعراق الرعب ، تحس بنشوء خطب من الرغبة . مثل خطب ماء يجري عبر الجبال ، ويمضي متزائداً ، شيئاً فشيئاً إلى أن يتحول إلى مهر قري . وهذه الرغبة زادت من رعبها . فإذا لم تتصلب ضد الرغبة ، واستسلمت

للامتلاك ، حينئذ سوف تفقد كل شيء . وستترك على الرمل بقعة من الدم سيضحك منها حالو المبناء في صباح اليوم التالي . إن وضوح ضعفها منحها تجدد وقوة ، وقدرات جديدة . خفصت رأسها ، وعفت يد بيدرو الذي كان يمسك بتيديها . أطلق بيدرو صرخة ، وسحب يده ، ونهضت هي وراحت تركض لكنه ادركها ، والآن أصبحت رغبته ممزوجة بالنعصب .

- سوف تنتهي من قصة هذا الشتاء الذي لا يبلل وحاول أن يبطحها .

- دعني أذهب ، يا شقي الحظ . انت تريد أن نتحدث لي شقاء . بالنسبة يا ابن امك الجدير دعني اذهب ، فانا لا علاقة لي بك

كان يبدو لا يجب . كان يعرف أخريات يتظاهرن بالشرف ، - بصورة عامة لأهن كان لمن عشاق ينتظرون . ولم يفترض ، لحظة واحدة أن الزنجية الصغيرة كانت عذراء . لكنها كانت تقارم ، ونقله بالثناشم ، ونعصه ، وتضرب بيديها الضميريتين صدر بيدرو بالا .

- ولكن ماذا نظنين ، أيتها الزنجية ؟ هل تعتقدين أنني سأدعك تعريين دون أن تستسلمي ؟ لا نعماندي . إن رجلك لن يعرف أي شيء . ولا أحد سيعرف أي شيء . وسترين ماذا يعني عناق رجل حقيقي ...

أخذ الآن يحاول مداعبتها . كان يريد أن يسيطر على عضبها ، ويجعلها تحس بالرغبة ، كانت يدها تنزلقان على جسدها ، ومددها بالقوة . والآن أخذت تردد مثل لازمة :

- دعني أياها البائس ، دعني .

وشعر نورتها الثالثة ، ثورة الهدية . وظهرت ساقا الرغبة الصليبان . لكن احداها كانت على الاخرى ، وحاول بيدرو مالا أن يبعد بينها . وراحت الزنجية لصعيرة تقاوم من حديد ، ولكن نظراً لأن العلام كان يداعبها ، ولأنها كانت تحس بصعود الرغبة العام ، كمت عن شتمه ، لكي تتوسل اليه برجاء قلق .

- دعني . انني عذراء . كن طيباً . ولا تمثلكني . سوف تحب امرأة سواي . أنا بكر ، وسوف تؤمني

نظر إليها ، كانت تبكي من الخوف ، وكذلك لأن ارادتها كانت تضعف ، وانصبت حلمتها لثدييها .

- أنت عذراء ؟ هل هذا صحيح ؟

- اقسم لي ذلك بالله ، وبالعداء مريم ، وأحدثت تقل اصابعها الموضوع بشكل صلب .

تردد بيدرو بالا

هذا الرغبة الصعيرة المنتصان، وساقاها الصلطان، وحصلة العرج.

- هل يعول الصباح؟

- الصحيح. أنا اقم على ذلك دعني اذهب أسي ننتظري.

كانت تبكي. وبيدرو يحس بالألم لكن الرغبة كانت قد استولت عليه رجسند اقترح هامساً في ادن الرغبة (وكان لسانه يداعبها):

- فقط من الحلب.

- لا، لا

- ستفلقن عذراء تماماً. لمر بسيط.

- لا، لا. هذا يسبب الألم.

لكنه كان يلاطمها، وأرتعش جسدها كله برغبة حيث بدأت نهمهم أنها اذا لم ترضه كما طلب، فستعقد نكارتها. وحين وعداها، كان لسانه يبيجها في اذنها:

- اذا احدث ذلك لك الماء، فسوف انتحب...

واقفت.

- انتقم بأن ذلك لن يكون من الامام؟

- اقم.

ولكن بعد أن قضى وطره منها أول مرة (وقد صاحت، وعضت يديها) وإذ رأى أن الرغبة ما زالت مستولية عليها، حاول أن يقض نكارتها. لكنها احسبت سدلك فوثبت مثل بحونة

- ألم تكف أنها البائس بما فعلت معي. هل تريد إنزال مصيبة بي؟

وراحت تبكي بصوت عال، ودفعت ذراعيها، حتى شبهت بجنوسة، كانت صبيحتها، ودموعها، وشائتها صد زعيم - فرمان الزمال - تشكل دفاعها الوحيد. ولكن بالنسة لبيدرو، كان أكبر دفاع للرغبة هو هاتان العينان المغممتان بالرعب. عينا حيوان أضعف، ليست لديه قوة للدفاع عن نفسه. ونظراً لأن الشطر الاساسي من شهرته قد أضي. وطرأ لأن قلق بداية الليلة هذه قد استولى عليه من حديد، فقد قال لها.

- اذا تركتك، هل تعودين غداً؟

- سأعود، نعم.

- لن أفعل لك إلا ما فعلته اليوم. وسأتركك عذراء.

هزت رأسها بالايجاب. كانت عيناها عينا بحونة وفي هذه اللحظة لم تكن تحس الا بالالم، وبالرعب، وبرغبة في الفرار. والآن، حين لم تعد يداه، ولا شفتاه، ولا قصب بيدرو تلامس جسدها، فقد انططأت وغبتها، ولم تعد تفكر إلا بمحابة بكسارتها. وتتمست الصعداء حين قال لها:

- اذن، تستطيعين الذهاب. ولكن اذا لم تعودني في الغد... حين سأبسط عليك سريين بأي حبل تربط العنزة..

أخذت تسير، دون أن تحجب بشيء. لكن العلام حق بها.

- سأرافقتك، لكي لا يعترض سبيلك لص ما...

سارا معاً، وأخذت تبكي. كان يريد أن يمسك بيدها، لكنها امتنعت، وابتعدت عنه. حاول مجدداً ومحدداً صحبت يدها. حينئذ صاح:

- ماذا يعني هذا، بحق الشيطان!

وسارا واليد باليد. كانت تبكي، وهذا البكاء، اثار قلق بيدرو بالا، محدداً قلقه في ساعات الليل الأول، ورؤى أبيه الذي سقط في النضال، ورؤى لآفة. مولو التي اعلست ساعة الانقاص. وراح يلعن في دخيلته لقاءه بالرغبة، وسرع في خطاه، للوصول في اسرع وقت إلى مدخل الطريق. كانت تبكي بمرارة، وقال لها في غضب:

- ماذا حدث لك؟ لم يحدث لك شيء..

اكتفت بالنظر اليه وكانت عيناها (مع انها كانت ما تزال تسير إلى جنبه، وأنها ما زالت مرتعبة) مغممتين بالمصاء والازدراء. خفض بيدرو رأسه، ولم يعد يدري ما يقول. ولم يعد في قلبه لا الرغبة ولا العصب، بل فقط الأسى. وسعما لحن ساما كان رجل يسه في الشارع. واشتد بكاءها، وراح هو يضرب الرمل مقدميه. الآن كان يحس بأنه أكثر ضعفاً منها، وكانت يد الرغبة الصغيرة تنقل يده، وكأنها من رصاص. ترك اليد، فابتعدت الفتاة عنه، فلم يحتج. كان يتمنى لو أنه لم يلتق بها ولو أنه لم يلتق - حان دادام، ولو أنه لم يذهب إلى حي غانتوا.

ووصل إلى الطريق، وقال لها:

- الآن تستطيعين الذهاب لن يسيء إليك احد... ونظرت إليه مجدداً ببعضاء، وراحت تركض ولكن عند اقرب زاوية من الطريق، توقفت، والفتفت نحوه، (وكان ما يزال ينظر إليها) وانها لت عليه بالشائيم واللعنات، بصوت ملاء خوفاً:

- هليرافقت الطاعون والجوع والحرب، أيها الشقي. وليرافقتك الله، أيها الشقي، يا ابن النمي، البائس، البائس. كان صوتها المنفرد يجتاز الطريق، ويشير قلق بيدرو بالا.

أما هي، فقبل أن تخفي عند محط الشارع، بصقت على الأرض، في ازدراء شديد جداً وكروت قاتلة:

- شقي... شقي...

لبث ساكناً في البدء، ثم انطلق راكضاً عبر الرمال، وكان متطلقاً كأن الرياح تسوطه، وكأنه يفر من لعنات الرغبة الصغيرة. وكان يحس برغبة في الارتقاء في البحر لكي يغسل نفسه من كل هذا القلق، وبالرغبة في الانتقام من الناس الذين قتلوا أباه، أما العصاة التي يحس بها صد المدينة العنية، التي كانت تمتد في الجانب الآخر من البحر، في أحباء «الحاجر»، و«النصر»، و«النعمة»، ويأس حياته كولد متشرد، تحل على أهله، ولد مطارد (بفتح الراء)، والألم الذي كان يحس به أراه الرغبة الصغيرة المسكية، التي هي ولد أيضاً.

«ولد، هي أيضاً»، هذا ما كان يسمعه في صوت الرياح، وفي السامب التي يغنيها رجل مجهول، وصوت يقول ذلك في نفسه

مغامرة أوغون

في ليلة أخرى، ليلة شتوية قاتمة، لم يكن الصيادون خلافاً يفسامرون ببركوب البحر، ليلة غضب بياجا وكاسغو، في حين كانت ومضات البرق هي الضوء الوحيد في السماء الملبدة بغيوم ثقيلة وسوداء، ذهب بيدرو بسالا، و«ذو الرجل الرخوة»، وجواو غراندي، لمرافقة الماي-دي-سانتو دون آنيها، إلى منزلها البعيد. وكانت قد حامت إلى المستودع في فترة بعد الظهر طالبة منهم خدمة ما، وفي حين كانت توضح ما تريد، حل الليل، مذهلاً ورهيباً.

- لقد عصب أوغون... قالت الماي - دي سانسو هذا موضحة.

وهذا هو السب نفسه الذي قادها إليهم. وأثناء مدهامة الشرطة لأحد المعابد - الذي، وإن كان ليس هو معبدها، لأنه ما من شرطي يتحاصر بمدهامة معبد آنيها، - فهو موضوع تحب حاجيتها - استولت الشرطة على صورة أوغون، التي كانت موضوعة على مذبح معبدها وقد استخدمت دون آنيها كل سلطتها لدى أحد الحراس لكي تستعيد القديس بل لقد ذهبت إلى منزل اسناذ في كلية الطب، صديقها، الذي كان يأتي لدراسة الدين الزنجي في معبدها، طالبة إليه إعادة ألفتها. وكان البروفيسور يعتقد تماماً أنه سيحصل من الشرطة على إعادة الصورة، ولكن لكي يصفيها إلى مجموعته من الاوثان الرغبة وليس لاعادتها إلى مذبحها في المعبد البعيد. لهذا السب، ولأن أوغون كان في غرفة المعتقلين في مركز الشرطة، فإن كاسغو، في تلك الليلة، كان يطلق بروهة العاصفة وفي النهاية جاءت دون آنيها إلى حيث يقم «فرسان الرمال»، أصدقائها منذ زمن طويل، لأن جميع الزنوج، وجميع فقراء باهيا هم أصدقاء الماي - دي - سانتو. وكان لديها لكل منهم، كلمات ودية وأمومية. إنها تشفي المرضى، وتجمع العشاق، ورفق سحرها قتل الاشرار. وأوضحت ما حدث لبيدرو مالا. لم يكن زعم «فرسان الرمال» يرتاد المعابد الشعبية كما أنه لم يكن يصمي إلى دروس الأب جوزيه بيدرو. لكنه كان على حد سواء، صديق الكاهن، وصديق الماي - دي - سانتو، وعند «فرسان الرمال»، حين كان هناك صديق، يخدمون هذا الصديق.

والآن كانوا يراقبون آتيتها إلى منزلها . كان الليل حولهم مضطرباً ومنعماً . بالنفصب . وكان المطر يهيج اجسامهم تحت مظلة الماي - دي - سانتو البيضاء الكبيرة . وكانت طبول المعابد الشعبية تدق بايقاع لرد الالهانة التي ألحقت بأوغون ، وربما في أحد هذه المعابد ، أو في العديد منها ، كانت أومولو تنذر بانتقام الناس الفقراء . وقالت دون آتيتها للغلمان بصوت مريض :

- إنهم لا يدعون الفقراء يعيشون . وهم لا يتركون الله الفقراء في سلام . الفقير لا يستطيع أن يرقص ، ولا أن يرتل لأله ، ولا أن يطلب نعمة من إله . كان صوتها مريراً . صوت لم يكن يبدو أنه صوت ماي - دي - سانتو دون آتيتها . وتناجعت تقول : إنهم يكتفون بترك الفقراء يموتون من الجوع . فالآن ينتزعون القديسين من الفقراء . ورفعت قبضتها

أحس بيدرو بالا بوجعة تصف في دخيلته . لم يكن الفقراء يملكون شيئاً . كان الأب حوريه بيدرو يقول ان الفقراء ، سيذهبون في يوم من الأيام إلى ملكوت السموات ، حيث سيكون الله واحداً بالسية للجميع . لكن عقل بيدرو بالا الفقي لم يكن يعيد أية عدالة في هذا : في ملكة السموات الجميع سيكونون متساوين . لكنهم على الارض ليسوا كذلك . فكفة الميزان تميل دائماً إلى جانب معين .

بأنشد من أنغام الاعوجوات والأناباكات (٢١) التي كانت ترد الالهانة الملحقة بأوغون ، كانت لعنات ماي - دي - سانتو دون آتيتها لئلا الليل . وكانت دون آتيتها ، ذات القامة الطويلة والنيحية ، تمثل نموذجاً استقراضاً للزنجية ، وكانت تحسن ارتداء ثياب الزنجيات الباهيات ، أفضل من أية امرأة أخرى . كان وجهها مرحاً ، مع أن نظرة واحدة منها كانت كافية لأن توحى باحترام مطلق . في هذا ، كانت تشبه الأب جوزيه بيدرو . لكنها الآن كانت ذات هيئة مفزعة ، ولعناتها صد الاغتيا ، وضد الشرطة كانت تملاً ليل باهيا . وقلب بيدرو مالا .

وحين تزكاه . بحاطة - بباتها القديسات ، اللواتي كن يقبلن يدها ، وعددها

بيدرو بالا قائلاً :

- لا تهتمي ، أيتها الأم دون آتيتها ، عدا سوف أعيد إليك أوغون .

(٢١) الاعوجوات والأناباكات : جمع اعوجر وأتاباك ، هما آلتان موسيقيتان يستعملهما الرمرج في احتفالاتهم الدينية . - ملاحظة من المترجم -

صربت يدها على رأسه الأشقر ، وابسمت . وقبل حوار غراندي و « ذو الرجل الرخوة » يد الزنجية ، وهبطوا جميعاً طريق الساحل ، وكانت الاعوجوات والأناباكات تصدح لفسل الالهة التي ألحقت بأوغون .

إن « ذا الرجل الرخوة » من جهته ، لم يكن يؤم بأي شيء ، لكنه كان يريد خدمة دون آتيتها ، ومال :

- ماذا سنفعل ؟ إن « البضاعة » هي مع الشرطة ..

بصق حوار غراندي . وقد انتابه خوف ما :

- لا نقل عن أوغون إنه « بضاعة » يا « ذا الرجل الرخوة » ..

دمزج « ذو الرجل الرخوة » قائلاً :

- إنه سيجب فهم لا يستطيع أن يفعل أي شيء .

صمت حوار غراندي ، ذلك لأنه كان يعلم أن أوغون قوي جداً ، وأنه ، حتى وهو في السجن ، يستطيع أن يعاقب « ذا الرجل الرخوة » وحك بيدرو بالا دقته ، وطلب سبحةارة .

- دعي احتر هذه المسألة . هناك حسابات يجب أن نؤديها لقد وعدنا دون آتيتها . والآن يجب أن نقوم بذلك .

نزلوا نحو المستودع . كان المطر يدخل عبر ثقب السقف . وكان أكثر العلماء يتكدسون في الزوايا ، حيث السقف غير مثقوب . وقد حاول « الامضاء » اشعال شمعه ، لكن الريح بدت أنها تلاعبه فكانت تطفي ، الشمعة لحظة بعد لحظة . وفي النهاية تحلى عن القراءة ، وانتهك في لعبة « السبعة والنصف » مع « القط » الذي كان يشرف على الصندوق ، يساعد « الشارب اللطيف » في احدى الزوايا . وكانت قطع العملة تندرج على الأرض ، ولكن لم يكن يوسع اي صوت أن يلهم « سكر الشعر » عن صلواته أمام العدراء ماري ، والقديس أنطون

في ليالي الشتاء هذه ، لم يكن في استطاعتهم النوم . ولحظة بعد أخرى ، كان وميض برق بصي المستودع ، وحينئذ كانت تميز الوجوه التحلية والقذرة ، وفسران الرمال . وكان كثيرون منهم صغاراً ، بحيث أنهم كانوا يخافون التناين والمسوخ الأسطورية . وكانوا يلوذون مالاكبر منهم سناً ، الذين لم يكونوا يحسون بسوى البرد والعلاس . وآخرون ، وهم الزوج ، كانوا يسمعون غير ذوي الرعد ، صوت كسانفو . والثالثة للجميع ، كانت ليالي العاصفة هذه ، وهبة مفزعة . وحتى « القط » الذي كان لديه صدر امرأة يريح عليه رأسه الصباني ، كانت لباني العاصفة ليالي سبتة . لأنه في

هذه الليالي، كان رجال - في المدينة ليس لديهم لكي يهربوا رؤوسهم المخالفة، سوى سريري رجل اعزب، وهم يريدون اغراق رعيهم في صدر امرأة - في هذه الليالي، كان رجال يدفعون المال ليناموا مع والدنا، ويدفعون جيداً. وهكذا، ظل، القط، في المستودع، متولياً الصندوق، مع أوراقه المزينة، يعاونه في العش والشاب اللطيف. كانوا يجلسون كلهم، مجتمعين قلقتين، لكنهم كانوا وحدهم مع ذلك، يحسون بأنه يقصصهم ني، ما، وليس فقط سريري داني. في غرفة مغلقة جيداً، بل أيضاً الكلمات الخنوق من أم أو من أخت، تديب خوفهم. كانوا يتجمعون مكسدين بعضهم إلى حجاب بعض، وبعضهم يترجم من البرد، تحت قمصانهم وبنطالاتهم الممزقة. وآخرون كانوا يلبسون سترات صغيرة مسروقة، أو ملتقطه عن المزابل، وهي سترات يستعملونها كمعاطف. بل كان لدى الأستاذ معطف كبير جداً، بحيث كان يكتس به الأرض.

في أحد الايام، وكان ذلك في الصيف، توقف رجل، وكان يرتدي معطفاً كبيراً، ليشرط مرطبات في أحد مطاعم المدينة. كان يبدو أنه غريب. كان ذلك في منتصف فترة بعد الظهر، وكان الحر يشوي الاجساد. لكن الرجل كان يبدو أنه لا يحس بالحر، لابساً معطفه الجديد. واعتبر «الأستاذ» أن منظر الرجل طريف، وقد اعجبه منه بوجه خاص، شكل رأسه الغريب. وبدأ يرسم هذا الرجل (مع معطف هائل الضخامة، أكبر من الرجل)، وذلك بالبطيخ، على الرصيف. وكان «الأستاذ» يضحك بسرور، لأن الرجل، ربما سيعطيه قطعة ذات الألفي ريس. واستدار الرجل على كرسيه، ونظر إلى الرسم، شبه المنهي. وكان «الأستاذ» يضحك إذ كان يرى الرسم ممثلاً، مع هذا المعطف الذي يسيطر على الرجل، ويغلب على امره. لكن الرجل لم يتذوق المسألة، واستول عليه غضب شديد، فنهض عن كرسيه، ولبط «الأستاذ» لطتين. فأصابت احداها الغلام في صدره، فتدحرج على الرصيف وهو يئن. ووضع الرجل أيضاً قدمه على وجه الصبي، وقال له وهو يتنهد تحتن الوحه.

- خذ أيها الأزعر، لتعلم أن تسخر من الناس وانطلق وهو يرن القود في كفه، بعد أن نما الرسم نصف نحو. وهرعت النادلة وساعدت «الأستاذ» على الهوض ونظرت باشفاق إلى الرسم وقالت:

- يا للنهم! رغم أن الرسم مشابه. انه احمق! ودست يدها في جيبيها، حيث كانت تحتفظ بما تناله من بقشيش، وأحرحت قطعة ألف ريس. وأودت أن تطيها له «الأستاذ». لكنه رفضها، كان يعلم أنه بحاجة

اليها، لكنه لم يستطع أخذها، وأخذ يتأمل في الرسم شبه المحو، وتابع طريقه، ويداه على جيبه. كان يسير دون أن تراوده أية أفكار، والغصة في صدره. لقد أراد ارساء الرجل، وأن يستحق قطعة تقود منه. وقد تلقى بطتين. وكلتا فطة لم يكن يفهم لماذا هم مكروهون هكذا في المدينة؟ إنهم أولاد فقراء، بدون أب ولا أم. فلماذا يكرهم هكذا أولئك الرجال ذوو الملابس الجيدة؟ متى يرافقه الله، ولكن حدث أنه التقى من جديد في الصحراء الرملية تحت الشمس، على طريق المشدود، بعد فترة قصيرة، بالرجل ذي المعطف. كان يبدو أنه يتجه نحو إحدى السفن الراسية في المرفأ. وكان، الآن، يحمل معطفه على ذراعه، ذلك لأن الشمس كانت عرقة. استل «الأستاذ» سكيه (وكان نادراً ما يستعمله) واقترب من الرجل. وكان الحر قد أبعد عن الرمال جميع الناس، وكان الرجل ذو المعطف يمر عبر الرمال، ليقرر الطريق المؤدية إلى المرفأ. وانس «الأستاذ» في صمت وراء الرجل، وحين أصبح قريباً منه، انتصب امامه، وفي يده السكيه. إن محرد رؤية الرجل قد حولت متاعه مشاعره إلى شعور وحيد. الانتقام ونظر إليه الرجل برحمة. كان «الأستاذ» يكبر في مواجهته، وسكيه في يده. وهمس من بين أسنانه:

- اليك عي، أيها اللص.

تقدم «الأستاذ» مع سكيه، وامتنع وحه الرجل.

- ماذا يعني هذا؟ ماذا يعني هذا؟ وراح ينظر في كل ناحية، آملاً بأن يرى ظهور شخص ما. ولكن على ارضعة المرفأ البعيدة، كان يرى رجال يعبدون أيضاً حينئذ راح الرجل ذو المعطف يجري لكن «الأستاذ» وثب عليه. وطعن يده بسكيه، فألقى الرجل معطفه على الأرض، وكان الدم يسيل من يده على الرمل وانطلق «الأستاذ» في اتجاه معاكس. وبقي لحظة لا يدري ماذا يفعل. لن يلبث حارس أن يظهر، ثم سينضم إليه حراس كثيرون. يشاركون في مطاردته مع الرجل. وإذا كانت سبعة الرجل سينجر فوراً، فإن كل شيء سيكون على ما يرام. وستكون المطاودة قصيرة الامد. ولكن اذا تأخرت السيف في الرجل، فسيطارد الرجل بالتأكد، أن لن يدركه، ويودعه السجن. وحينئذ تذكر «الأستاذ» الفتاة خادمة المطعم، فاتفقه نحوه، ومن الخديعة المواجهة للمطعم، أشار إلى الفتاة بأن تأتي. فركضت الفتاة نحوه، وفهمست سرعة حين رأته ومعه المعطف. وحذرها «الأستاذ»

- هناك حرج في يده.

صحكت الفتاة:

- لقد انتقم ليس كذلك؟ وأخذت المعطف إلى المعلم، ووضعت في مكان أمين، واختفى «الاستاذ»، إلى أن أجرت السفينة. لكن «الاستاذ» كان يتابع من مكانه. حركة الحراس عبر الرمال، وفي الطرقات المجاورة. على هذا النحو حصل «الاستاذ» على المعطف، الذي لم يرد بيعة أبداً. لقد كسب معطفاً وكثيراً من الغصاء. وبعد ذلك بأعوام، حين أدهشت لوحانه الجدارية الكبيرة، البلاد (كانت تمثل موضوعات عن حياة أولاد مشردين، ومنسولين كبار السن، وشغيلة ومعال مواني، يقومون بهدم السجون)، وقد لوحظ أن البورجوازيين الضخام الاجسام، كانوا يظهرون دائماً في رسوم «الاستاذ». موندنين معاطف ضخمة، تنتمع بشخصية أكثر من لاسيها. دخل بيدرو بالا، وجوار غراندي، وه ذو الرجل الرخوة إلى المستودع. واتجهوا نحو الجماعة التي كانت تلعب حول «القط». وحين وصلوا توقف اللعب لحظة، وألقى «القط» نظرة على الثلاثة:

- هل تعبون لعة السعة والنصف؟

- فأجاب «ذو الرجل الرخوة»:

- وهل يظهر علي أنني أله؟

جلس حواو غراندي يراقب، وابتعد بيدرو بالا مع «الاستاذ» إلى إحدى الزوايا. كان يريد إيجاد وسيلة لانتزاع صورة أوغون من الشرطة. وتاقشا هزيعاً من الليل، وكانت الساعة الحادية عشرة تدق، حين خاطب بيدرو بالا، قبل خروجه جميع «فرسان الرمال»:

- أيها الأصدقاء، سوف أقم أنا بضربة قوية. فإذا لم حضّر إلى هنا غداً صباحاً فسأكون في المنخر، وسوف يدفعوني لكي اتغفن في دار الإصلاحية. سوف أفر... أو أنكم متفقون بأخراحي من هناك..

وحرح ورافقه جوار غراندي حتى الباب، وانضم «الاستاذ» مجدداً إلى «القط». كان الغلمان الأصغر سنّاً ينتظرون إلى رحيل زعيمهم بشيء من الخوف. لقد وضعوا في بيدرو بالا ثقة كبيرة، وبدونه، كثيرون منهم لا يعرفون كيف يتدربون أمورهم.

وحرح «سكر الشعير» من روايته، قاطعاً صلاته

- ما هي المسألة؟

- ذهب بيدرو للقيام بمهمة صعبة، فإذا لم يعد في الغد، فذلك يعني أنه قد قبض عليه.

- سوف نخرجه من السجن! هكذا قال «سكر الشعير» بلهجة طبيعية، وما كان

يكن أن يقال أنه قتل دقائق كان يصلي، أمام صورة العذراء، خلاصاً روحه الصغيرة، روح اللص. وعاد إلى قديسه، لبصلي من أجل بيدرو بالا.

واستأنف لعب الورق. في الخارج كان المطر ووميضات البرق، والرعد والسحب في السماء، كان برد شديد يسود المستودع. قطرات من الماء تتساقط على الأولاد الذين كانوا يلعبون لكن اللعب، الآن لم يعد يستأثر باهتمامهم، وه القط، هو نفسه كان يسي أن يكسب، وفي المستودع كان يسود نوع من الارتباك. وقد استمر ذلك إلى أن قال «الاستاذ»:

- سوف أذهب لأرى ماذا يحدث...

وقد رافقه جوار غراندي، وه «القط». في تلك الليلة، كان «سكر الشعير» هو الذي رقد عند باب المستودع، والخنجر تحت رأسه. وقربه، كان «ذو الكرع الناشف» يسير غور الظلام بوجهه القاتم. وكان يتساءل أين يمكن أن تكون، في هذا الليل المظلم، جماعة لاميبيو. ربما كانت، في هذا الليل العاصف، تقاثل الشرطة كما سيفعل بعد قليل بيدرو بالا. وكان «ذو الكرع الناشف» يعتقد بأن بيدرو بالا حين سيلعب سن الرجال، سيكون بمثل شجاعة لاميبيو كان لاميبيو سيد البر الداخل، وسيد السهوب التي لا نهاية لها. وسيكون بيدرو بالا سيد المدينة، والماني والشوارع، وأرصعة المياء، وأن «ذو الكرع الناشف» الذي هو من البر الداخل، يستطيع أن يضي عبر السهوب، وهو مدس، لأن لاميبيو كان عرابه، وبيدرو بالا صديقه. ولقد صباح الديك، وكانت تلك إشارة إلى أن «ذو الكرع الناشف» كان سعيداً.

حين كان بيدرو يرقى جانب الجبل، كان يستعيد ذهنياً حطنه. لقد وضعها بمساعدة «الاستاذ» ومن بين جميع العمليات التي جازف بها، كانت العملية الحادية أكثرها خطراً. لكن للدون آئينها تستحق أن يتعرض لهذه المجازفة من أجلها، فحين كان يمرض أحدهم، كانت تقصر الادوية المصنوعة من اوراق البات، وتعتني به، وفي كثير من الاحيان تشفيه. وحين كان يظهر في أرضها غلام من «فرسان الرمال»، كانت تعامله كرجل، وتعطيه أفضل ما عندها من طعام وشراب. كانت الحطة مجازفة، وربما لن تعطي أية نتيجة. وبيدرو بالا، بعد أن يذرق السجن بصمة أيام، سينتهي به الامر إلى الإصلاحية، هناك حيث الحياة اشد بؤساً من حياة الكلب. ولكن كانت هناك فرصة لأن تنتج الحطة. وسيلعب بيدرو بالا لعبة الكل بالكل على هذه الامكانية. ووصل إلى ساحة «المسرح». كان المطر يهطل، ورجال الشرطة يتقنون المطر بمعاطهم. وراح بيدرو يرغني على مهل، طلعة ساو - بنتو، وسلك الطريق عبر ساو -

بيدرو ، واجتاز ساحة «البيداء» ، وسلك شارع روزاريو ، والآن أصبح امام «المركز الرئيسي للشرطة» ، برابق النواهد وتحرك رجال الشرطة ، والمفتشين الديس كسانوا بدحلولن ويجرجون . وبين دقيقة وأخرى ، كان يمر ترام ، دافعاً القضبان الحديدية إلى الصرير ، رائداً من اصااء الشارع المضاء اصلاً . وقد ابلغه الحارس وهو صديق دون أتشيها . أن تمثال «أوغون» موجود في قاعة المعتقلين ، ملقى على خزانة ، في وسط أشياء أخرى مسوعة . صودرت أثناء مدهامات مختلفة قامت بها الشرطة لمارل لصوص وفي هذه القاعة . كان يوضع أولئك الذين اعتقلوا أثناء الليل ، قبل أن يجري استجوابهم سواء من قبل المدوسين ، أو من قبل مفوضي الخدمة ، والذين يجري أرساقهم بعد ذلك إما إلى السجون ، وإما إلى الشارع (أي يطلق سراحهم) . وهناك ، في رابوة ، في البدء . في حوالة كانت تمتلئ بسرعة ، ثم إلى جانبها أو فوقها . كانت توضع أشياء غير ذات فحمة ، حرت مصادرتها أثناء مدهامات رجال الشرطة . وكانت خطة بيدرو بالا تقوم في أن يقضي الليل ، أو شطراً منه ، في قاعة المعتقلين ، والخروج (إذا استطاع الخروج) حاملاً تمثال الآله أوغون . وكانت لدى بيدرو مالا أفضلية كبيرة : كان مجهولاً لدى الشرطة . وبالإضافة إلى ذلك ، كان عدد قليل جداً من الحراس يعرفونه كمشتد في الشارع . رغم أن جميع الحراس ، وحتى بعض المفتشين ، يرغبون بشدة في القبض على زعيم «فرسان الرمال» . وكانوا يعتقدون أنه فقط أن في وجهه ثدي ، وأمر بيدرو بالا يده على هذه الثدي . لكنهم كانوا يفتنون أنه أقول قامة ، مما هو في الواقع ، وكانوا يعتقدون أن بيدرو بالا هو حلاسي . وأكر سناً . وإذا ما اتصلوا لمعرفة زعيم «فرسان الرمال» ، فإبهم لأن يرسلوه إلى الاصلاحية ، حيث يسهل الفرار ، بل سيرسل إلى السجن ، حيث لا يسهل الفرار على كل حال ..

سار بيدرو بالا حتى كامسو - غرابدي . لكنه لم يعد يسير بتلك الخطوة اللامبالية ، خطوة لص شوارع المدينة . بل كان يقضي الآن وهو يتربع مثل ابن عمار ، وقد اسدل كاسكه على عيبه سمب انظر ، رافعة قبعة سترته السوداء (كان صاحبها في الماضي ، رجلاً طويل القامة)

كان الحارس يقف تحت شجرة بسبب المطر . واقترب منه بيدرو بالا . كولد خائف . وحين خاطب الحارس ، كان صوته صوت ولد خائف من ليل المدينة العاصف .

- سيدى الحارس ..

نظر اليه الحارس :

- ماذا تريد ، أيها الغلام .

- أنا لست من هنا . أنا من مارغرابدي . وقد جئت مع وألدي اليوم .

لم يده الحارس يكمل كلامه . بل قاطعه :

- وماذا تعمل هنا ، يا صبي ؟

- لست أدري أين أنام . أود أن تسمح لي بالنوم عند الشرطة .

- مقر الشرطة ليس فندقاً ، أيها الأزهر . هيا ، اذهب من هنا ، اذهب وأشر إلى بيدرو بالا ابتعاد .

حينئذ حاول بيدرو التمام المحادثة ، لكن الحارس هدده بهرأته :

- اذهب ومن في حديقة ، اذهب من هنا .

ذهب بيدرو وعلى وجهه غم وألم . واستمر الحارس برصد الغلام . وتوقف بيدرو عند محطة الترام ، وبقي ينتظر . لم ينزل احد من الحافلة الأولى ، ولكن من الحافلة الثانية

نزل زوجان . انقض بيدرو بالا على المرأة ورأى الرجل أن الغلام يريد أن يحتفظ بحففتها ، فأمسك به من ذراعه . وكان الفتى يقوم بالعمل بصورة سيئة ، بحيث لو رآه

أحد من جماعه «فرسان الرمال» لما عرف أن هذا الغلام هو زعيم . وكان الحارس الذي تابع المسألة قد وصل إليهم .

- إذن ، على هذا الحوالت لست من هنا - أيها اللص السارق ..

وابتعد ، قاصباً على بيدرو بالا من ذراعه . كان الغلام يسير ووجهه نصف حائف ، ونصف ضاحك :

- لقد فعلت هذا لكي تغضب علي ..

- ماذا ؟

- إن كل ما قلته ، هو حقيقته . إن والذي يحار . ولديه روبرق في مارغرابدي .

واليوم ، تركي هنا ، ولم يعد . بسبب المعاصفة . وأنا لا أدري أين أنام . لقد طلبت النوم في المختر . وأنت لم ترد ذلك ، وحينئذ تقاضوت بأنني سأسرق المرأة وذلك فقط لكي

تبص علي . والآن ، لدي مكان أنام فيه .

- ونرس طويل .

كان ذلك هو الجواب الوحيد للحارس . ودخل إلى مركز الشرطة . واجتاز

احارس رواقاً ، وترك بيدرو بالا في غرفة المعتقلين . كان فيها حمة أو ستة رجال . وقال الحارس مزحزراً

- الآن تستطيع النوم . يا ابن امك الجدير ، وبعد ذلك ، حين سيأتي المفوض ،

سرى كم من الزمن ستنام ها ..

لزم بيدرو الصمت. ولم يعره المعتقلون الآخرون أي انتباه، وكانوا يهتمون أكثر بكثير بشخص لوطي قبض عليه، وهو يقول أنه يدعى «مارينيت». وفي إحدى الزوايا، شاهد بيدرو الخزانة. وكانت صورة «أوغون» على جدرانها، قرب سلة الورق. وفي حين كان الآخرون يتجادلون، لف تمثال أوغون (لم يكن كبيراً، وكان هناك تماثيل أكبر منه بكثير) في سترته، وتعدد على الأرض. ووضع يده على الرزمة، وتظاهر بالرقاد.

استمر معتقلو تلك الليلة بسخرون من اللوطي، باستثناء رجل عجوز كان يوتعد في راوية كان بيدرو يجهل ما إذا كان بكاء الرجل من البرد أم من الخوف. لكنه سمع صوت زيجي شاب يقول له «مارينيت»:

- من الذي ففس بكارتك؟

- أوه، دعني. هكذا أجاب اللوطي صاحكاً

وقال الآخرون. لا. احك لنا، احك!

- آه... إنه ليوبولد آه!

استمر العجوز يرتعد. ولاحظه في الزاوية لص حفر السل وجهه:

- لماذا لا تنصق بهذا العجوز؟

هكذا سأل الرنحي الذي كان يملك لساناً، الفتى المسمى «مارينيت».

قال الفتى اللوطي. ألا ترى أنني لا أركض وراء العجائز؟ ثم، هذا يكفي، «حل عي.»

والآن. كان حارس يصحك عند الباب، والتفت الرجل المحفور الوجه نحو العجوز الذي انكمش على نفسه.

- أما أنت. فكنت تريد تماماً لو أن هذا الفتى، «مارينيت» قد ديرك... أليس كذلك يا عاه؟

- أنا رجل عجوز ولم أفعل أي شيء. هكذا هس العجوز، أكثر من كونه تكلم. أنا لم أفعل أي شيء. وابنتي تنتظرني

حرر بيدرو الذي كان مغمض العينين، أن الرجل كان يكي، لكن بيدرو استمر بتظاهر بالتوهم. كان تمثال «أوغون» يؤلم رأسه وواصل المعتقلون يمزحون في صدد الفتى اللوطي والعجوز. إلى أن وصل حارس آخر، قال للعجوز:

- اسب. ايها العجوز.. هيا بنا

قال العجوز مجدداً. أنا لم أفعل أي شيء. إن ابنتي تنتظرني... كان يحاطب

الجميع. الحراس والمعتقلين، وكان يرتحف بشدة بحيث أن الجميع أحسوا بالأم، وحتى اللص المحفور الوجه، قد خفض عينيه، كان الفتى اللوطي وحده ينسم.

لم يعد العجوز. ثم جاء دور الفتى اللوطي. وغاب فترة طويلة، وقد أوضح الرجل المغمض الوجه أن «مارينيت» هو من عائلة طبية وبالطبع، كان قائد الشرطة يجري اتصالاً هاتفياً بأهله، طالباً أن يحضروا لأخذه، لكي لا يضطر لاعتقاله هذه الليلة. وبين حين وآخر، حين يتعاضى كعبة كبيرة من الكوكابين، كان يتحدث فضيحة في الشارع، ويعتقله أحد الحراس. وحين عاد «مارينيت»، كان ذلك فقط لأخذ قمته وحينئذ رأى بيدرو بالاً ملقى على الأرض فقلا،

- إنه فتى جد، هذا الغلام. لكه حبل جد. مصق بيدرو، وعيناه مغمضتان، ثم قال:

- اذهب يا لكع! قل أن سحق بوزك...

ضحك الآخرون، وحينئذ فقط، خاطبوا بيدرو:

- ماذا تصنع هنا، يا جرد الكنيسة؟

- هذا لا يعنك، يا شجرة السعادين. هكذا اجاب بيدرو الرجل ذا الوجه المفرغ

الحارس نفسه أخذ بضحك، وأوضح للآخرين قصة بيدرو. لكن الرنحي الشاب استدعي بدوره، وبقي الباقون صامتين كانوا يعلمون أن الرنحي قد سدد طلعة سكين إلى رجل في مقهى، وحين عاد، كانت يدها منثورتين من الضربات التي تلقاها. وأوضح قائلاً:

- إنهم يقولون أنه سنجري تخاكتي بسبب جروح حفيضة... أما هم، فقد سدوا إلى دزينتين من الضربات.

وصمت، وبحث عن راوية. وارغى فيها. وصمت الآخرون هم أيضاً. وتنادبوا واحداً بعد آخر حيث كان يستجوبهم المفوض. كان يطلق سراح البعض، والآخرون يرمون إلى الحبس، وآخرون يعودون وقد ادماهم الضرب. وكانت العاصفة قد هذأت وكان النهار يشرق وكان بيدرو آخر من استدعي للاستجواب. وترك السترة التي لف بها صورة «أوغون».

كان المفوض محامياً شاباً يتلألاً في اصمعه خام مرصع بياقوتة حراء، وكان يدخن السيجار وحين دخل بيدرو مع الحارس، كان المفوض يطلب القهوة بصوت عال. ظل بيدرو واقفاً أمام المكتب، ساكناً بلا حراك. وقال الحارس:

- هذا هو الغلام السارق في كاسوغراندي

أشار المفوض بيده:

- انظر اذا كانت هذه القهوة متصل أو لا متصل .

انسحب الخارس وقرأ المفوض تقرير الخارس الذي اعتقل بيدرو بالا ، ثم نظر إلى الغلام:

- ماذا لديك لنقول ؟ ولن تكذب طبعاً .

روى بيدرو بصوت خائف قصة طويلة. قال إن والده صياد في مارغراندي ، وأنه في هذا اليوم بالذات ، في الصباح ، جاء مع الزروق ، واصطحبه . ولكن اثر ذلك ، عاد لكي يحصر حولة ثانية . وتركه في المدينة ينتزه لأن الصياد سيعود مرة ثانية إلى ناهيا في فترة بعد الظهر ، وجيند يستطيع الغلام العودة مع والده . لكن العاصفة هبت ، فحالت دون عودة أبيه ، وهو ، أي الغلام ، الذي لم يكن يعرف أحداً ، بقي تحت المطر ، دون أن يعرف أين سينام . وسأل رجلاً في الشارع أين يمكنه النوم ، فقال « في مخمر الشرطة » . وجيند طلب من الخارس أن يصطحبه إلى المخفر ، لكن الخارس رفض ذلك ، وهو ، أي الغلام ، تظاهر حينئذ بأنه يريد سرقة امرأة ، لكي يقوده الخارس إلى مركز الشرطة ، فينام تحت سقعة

- وهكذا فأننا لم اسرق . ولم أفر ... هذا ما قاله في ختام إفادته .

قال المفوض ، الذي كان يتذوق قهوة بحرات صميرة ، في نفسه :

- مستحيل أن يخلق غلام في مثل منه قصة كهذه ... وأثر ذلك ، ونظراً لأنه كان لدى المفوض - المحامي ميول أدبية . فقد همس قائلاً : « هذه الحادثة ستكون قصة هائلة » . واتسم ببشاشة ، وسأل بيدرو .

- ما اسم والدك ؟

- أوغستو سانتوس ، وقد اختار اسم بجاو معروف في مارغراندي .

- اذا كان ما قلته لي صحيحاً ، سأطلق سراحك . وإذا تبين أنك تزيد خداعي بهذه القصة ، فسوف ترى .

ودق الخرس ، مستديماً الخارس كانت اعصاب بيدرو متوترة جداً . ووصل الخارس ، وسأله المفوض ما اذا كان لدى الشرطة سجل بأسماء صيادي مارغراندي ، الذين يربسون على أرضقة السرقة .

- نعم يا سيدي ، يوجد سجل .

- اذهب وانظر اذا كان بين اسم الصيادين صياد اسمه اوغستو سانتوس . وعد

وأبلغني الجواب . ولكن عجل لأن ساعة خروجي قد اقتربت .

نظر بيدرو بالا إلى ساعة الجدار . كانت تشير إلى الساعة الخامسة وال نصف صباحاً . وعاب الخارس مصعب دقائش ، ولم يعد المفوض يهتم بيدرو ، الذي كان واقفاً ، أمام مكتبه . ثم عاد الخارس ، وقال :

- نعم يا سيدي ، هناك صياد يحمل هذا الاسم ، واليوم بالذات ، كان على أرضقة الساحة . ثم عاد بعد قليل .

أشار المفوض بيده وقال للخارس .

- اطلق سراح هذا الازعر .

طلب بيدرو الاذن بأخذ سترته ، ووضعها تحت ذراعها ، وما كان يظن أحد أنه يحمل تحت طياتها صورة « أرغوس » . واجتاز الغلام والخراس الرواق مجدداً ، وتركه الخارس على الباب . واجتاز بيدرو ساحة « المحزونين » ودار حول التكنة القديمة ، ووصل إلى عامرادي سبياً ، والان تطلق ركبته لكنه سمع خطى خلفه . كان يبدو أن هناك من يتبعه . ونظر . فإذا ب « الاستاذ » ، وحوار غراندي ، و « القط » . يركضون نحوه . وانظر إلى أن وصلوا إليه ، وسألهم وقد ألم به الفصول :

- ماذا تصمون في هذا المكان ؟

- حك « الاستاذ » رأسه

- ألا ترى أننا خرجنا ، الآن ، في ساعة مبكرة ؟ كاترود وغي . هنا . كنا سيمدون فعل أي شيء ، حين رأيناك وأنت متطلق وكصاً ...

وفتح بيدرو سترته ، وأظهر تمثال « أوغون » . وأطلق جواو غراندي ضحكة سرور .

- كيف فعلت للتغلب عليهم ؟

نزّلوا على الساحل المنزلق ، بسبب الامطار التي هطلت في الليل . وسار بيدرو بالا مع صاحبه ، وهو يروي لها مفامرات الليلة . وسأل « القط » :

- ألم تخف حتى قليلاً ؟

أراد بيدرو في البدء أن يقول لا ، لكنه اعترف قائلاً :

- لكي اقول الحقيقة ، لقد استوى علي خوف من المصيبة . والمصيبة هي السجن .

لكي تحلصت منها . وضحك للامح الوجه المرتعب ، وجه جواو غراندي . كانت

السماء الآن زرقاء . صافية ، بلا سحب ، والشمس تنللاً وهناك ، من الطلعة ، كانوا

يرون الغوارب التي تخرج من وصيف « السوق » .

حيث يجتمع الله مثل زنجي صغير

كان انطلق بسوء اغراء كبيراً جداً. ما كان يقال إن هذا ظهر لأحد أيام الشتاء، كانت الشمس تصب على الشوارع صباءً نقيفاً، لم يكن يحرق، بل كان دفته مداعباً مثل يد امرأة. وفي الحديقة الاقرب، كانت الازهار تنفتح في ماقات من الألوان. أزهار اللؤلؤ، والورود والقرنفل والذهليات والبنفسج. وفي الشارع كان يبدو ان نمة عطر لذيذاً رقيقاً إلى أقصى حد، لكن «سكر الشعير» كان يحس أن هذا العطر ينفذ إلى حياشيمه، ويسكره. وعند باب مرفقين اغنياء، أكل بقايا غداء كانت شبه مادية في حد ذاتها. إن الخادمة التي احضرت له الصحن المليء قد تالتت وهي تنظر إلى الشوارع. وإلى شمس الشتاء، والرجال الذين يبرون بدون معاطف:

- إنه بهار جميل.

هذه الكلمات رافقت «سكر الشعير» في الشارع. كان النهار جليلاً، وكان الغلام الصغير يضي غير سال، صافراً بلحن سائماً علمه اياه «حيب الله الطبيب»، متذكراً أن الأب حوريه يبدرو قد وعد بأن يجعل كل ما يستطيعه لادخاله إلى دير للدراسة والعبادة. لقد قال له الأب حوزيه يبدرو أن كل هذا الجبال المايط، الشامل للأرض والناس. هو عبس من الله، وأنه يجب أن يحمده الله عليه. وراح «سكر الشعير» يتأمل السماء الزرقاء حيث لا بد أن يكون الله الغليب موجوداً. وشكره بابتسامة، كان يفكر في أن الله هو حقاً طيبس. ولسدى تفكيره في الله الطيبس فكر أيضاً في «فرسان الرمال»، كانوا يسرقون ويقانون في الطرقات، ويعلمون، ويشتمون، ويمددون الزنجيمات الضعيرات على الرمال، ويجرحون أحياناً سطعات حجر أو موسى راحلاً وشراطين... ومع ذلك كانوا طيبين، وبعضهم أصدقاء بعض. وإذا كانوا يفعلون كل هذه الأشياء، فذلك لأن ليس لهم أن ولا أم، ولأن حياتهم كانت حياة لا تنص لهم الرغبة، وكانوا ينامون في مبنى لا سقف له تقريباً. ولو لم يكونوا يفعلون كل تلك الأشياء لماثوا جوعاً، لأنها كانت نادرة المازل التي تعطي الطعام لواحد منهم، وللآخر تعطي الشباب. والمدينة بكاملها لن تكفي

لأعطائهم جميعاً المأكول والملبس... وفكر «سكر الشعير» بأنهم جميعاً محكوم عليهم بدحول الجحيم، ويبدرو بالا لم يكن يؤمن بوجود الجحيم، وكذلك «الاستاذ» لم يكن يؤمن بذلك. كانا يسهران من «سكر الشعير»، أما جواو غراندني، من جهته، فقد كان يؤمن - كساعو - و- اومولو -، وبأمة الزنوج الذين جاؤوا من افريقيا. إن حبيب الله الطيب، الذي كن صياداً شجاعاً، ورافصاً مصارعاً لا مثيل له، كان يؤمن هو أيضاً بأمة الروح، وكان يخلط بينهم وبين القديسين البيض، الذين جاؤوا من أوروبا. وكان الأب حوزيه يبدرو يقول إن هذه المعتقدات هي كلها اوهام وترهات. وأن هذا خطأ. ولكن لبسوا هم «فرسان الرمال»، مسؤولين عنه. وحزن «سكر الشعير» وسط جبال النهار. إذن، فكلهم يحكمه عليهم بدحول الجحيم! كان الجحيم مكاناً للشران الابدية، حيث يحترق المحكومون طوال حياتهم، وهذه الحياة لا تنتهي أبداً. ول الجحيم، يوجد شهداء يمهولون حتى من الشرطة، وحتى من الاصلاحية. وقبل بضعة أيام، اثناء وعقبة في كيسة «لابيداد»، سمع «سكر الشعير» راءة ألمانياً بصف الجحيم. وعلى المقاعد، كان الرجال والنساء، يتلقون كلمات الراهب الساربة وكأها صرارات سياط. كان الراهب أحر اللون، والعرق يسيل من وجهه. وكان كلامه متكتاً. وعبر هذا الكلام، كان الجحيم يبدو أكثر رهبة أيضاً، والسنة الذهب تلحس الاجساد التي كانت جبهة على الأرض، وقد انصرفت إلى الحب، والايدي كانت رشيقة ماهرة، وقد قامت بالسرقة، وباستعمال الخنجر والموسى. كان الله، عبر خطابات الراهب، هو الله المقاضي الذي يعاقب، وليس الله الطيب للنهارات الجميلة التي مصيها الأب حوزيه يبدرو. وإن ذلك، أوضحو لـ «سكر الشعير»، أن الله هو الطيبة العنصري، والعدالة القسوى. وغلف «سكر الشعير» حبه لله الطيب بغلالة من الخوف إزاء الله. ومن الآن فصاعداً، سيعيش «سكر الشعير» مقسماً بين الشعورين. كانت حياته الحياة الشقية لولد مشرد، تقل عنه الأهل والناس، وعلى هذا الاساس، كانت حياته تحكم عليه بحياة خطيئة، وسرقات شبه يومية، وأكاذيب على اسباب الناس الاغنياء، ولهذا السبب، في جمال هذا اليوم البديع، كان «سكر الشعير» يتأمل السماء بعينيه اللتين وسعها الخوف، وطلبت إلى الله الطيب الطيب جداً. (لكنه عادل أيضاً...) المغران لخطايها، وخطايا «فرسان الرمال»، رفاقه. ففي البدء، لم تكس العلطة غلظتهم، وكان الخطأ خطأ الحياة...

كان الأب حوزيه يبدرو يقول إن العلطة هي علطة الحياة، ذلك لأنه كان يعلم أن هذه هي الوسيلة الوحيدة ليصنع لهم حياة مرأة من الآفات والذنوب. ولكن، بعد

ظهر أحد الأيام، حيث كان الأب جوزيه موجوداً هناك، وكذلك حامل المنياء، جان دادام، أعلن هذا أن القطة هي غلطة المجتمع السيء التنظيم، وغلطة الاغنياء... وأنه ما دام هذا لا يتغير، فإن الأولاد لن يتمكنوا من أن يصبحوا رجال خير. وأضاف أن الأب جوزيه يبدرو لن يتمكن أبداً من فعل أي شيء لأجل الأولاد، لأن الاغنياء سيمنعونهم من ذلك. في ذلك اليوم، أحس الأب جوزيه ببدرو بأسى كبير، وحين حاول «سكر الشعير» نغمته موصحاً له أنه لا ينبغي إعساوة أي انشاء لآراء جان دادام. أعجاب الأب وهو يهز رأسه المزيل:

- هناك أحياناً انزل فيها للتفكير بأنه على حق، وأن كل شيء يجري بالمقلوب. لكن الله طيب، وهو سينمكن من المداواة...

كان الأب جوزيه يبدرو يعتقد أن الله سيغفر. وكان الأب يريد مساعدة الأولاد. ولما لم يكن يجد، إن لم يكن الوسائل للتوصل إلى ذلك، فعل الأقل، مع الأسف، جداراً امامه (كان جميع الناس يريدون معاملة «فرسان الرمال» اماماً كمحرمين، وإما كالأولاد يتاملون الأولاد الذين ربوا داخل بيت، وعائلة) كان الأب جوزيه يبدرو يحس بما يشبه اليأس، بل وأحياناً يكون فاقد الانجاء. ضائعاً. لكنه كان بأسفل في أن الله سيلمهم في يوم من الأيام، ومنتظار ذلك، لم يكن يعيب عن الأولاد، مع نجاحه أحياناً في إبعادهم عن أعمال شريرة. بل كان أحد أولئك الذين اسهموا في قطع دابر اللواط في الجماعة. وقد شكل هذا إحدى التجارب الكبرى في كيفية معاملة «فرسان الرمال». وطوال ما كان الأب جوزيه يبدرو يردد بأن من الضروري التخلص من اللواط، لأنه خطيئة، ولأنه شيء قذر وشع. كان الأولاد يسخرون منه خفية، واستمروا في مضاحكة الأولاد الأتقي ساء والأجمل. ولكن، حين قال لهم الأب، يساعده هذه المرة «حبيب الله الطيب» أن اللواط عمل غير جدير بالرجل، وأنه يجعل الرجل شبيهاً بالمرأة، بل وأساء من المرأة، اتخذ يبدرو بالتدبير قاسية، وطرد نجي اللواط السليبين من الجماعة، وبالرغم من جهود الأب حوزيه يبدرو، لم يقل يبدرو بالا بعودتهم أبداً.

- إذا عادوا، فستنكر القدرة، يا ابنتي. وقد انتزع يبدرو بالا اللواط من بيته «فرسان الرمال» كما ينتزع الجراح زائدة دودية ملتهبة من جسم رجل. وكان الأصعب، بالنسبة للأب جوزيه يبدرو، التوفيق بين الأشياء. لكنه كان يتحسب طريقه، ويتيسم أحياناً بارتياح للنتائج، وإن كان جان دادام، رغم كل شيء، يفضحك منه، وينادي بأن الثورة وحدها هي التي ستسوي كل هذه الأمور كما ينبغي. وهناك في الأعلى، في المدينة العليا، كان الرجال الاغنياء

والنساء يطالبون بشدة بأن يسجن «فرسان الرمال»، أو أن يجري ادخالهم إلى الاصلاحية، التي هي أسوأ من السجن. وهناك، تحت، على ارضية المنياء، كان جان دادام يريد التخلص من الاغنياء، وتحقيق المساواة في كل شيء، وإعطاء المدارس للأولاد الصغار. وكان الأب، من جهته، يريد إعطاءهم المنزل والمدرسة، والحنان، والرفاهية، بدون الثورة، وبدون التخلص من الاغنياء. ولكن في كل ناحية، كان يقوم حاجز. كان الأب يحس بأنه ضائع، وكان يطلب إلى الله أن يلهمه. وبشيء من الرعب، حين كان يفكر في هذه المسألة، كان يعطي الحق، حتى دون أن يدري، لمعامل المنياء، جان دادام. وحينئذ كان يلهمه، أي اخوري جوزيه يبدرو، الخوف، لأن ذلك لم يكن دروس أسانذته، وكان يصلي طوال ساعات لكي ينير الله طريقه.

بين «فرسان الرمال»، كان «سكر الشعير» المكس الكبير للأب جوزيه يبدرو. وقد كانت له سبعة بصفه أكثر أعضاء الجماعة شراً، وكان يروى أنه في أحد الأيام عرس خنجره في عنق غلام لم يرد أن يقرضه تقوداً، وكان يزيد غرس خنجره ببطء، دون أن يرتجف، حتى سال الدم، وإعطاء الولد آخر كل ما عليه. ولكن يروى أيضاً أنه عرس موساه أيضاً في جسم «شيكو» الشحم، حين كان هذا الخلاسي يعذب هوأ جازف بالدخول إلى المستودع مطارداً الجردان. ويرم راح الأب جوزيه يبدرو يتكلم عن الله، والسبأ، والمسيح وعن الطيبة والتقوى، أخذ «سكر الشعير» يتغير. كان الله يتأديه، وكان يسمع صوته القوي عن المستودع. وكان يرى الله في أحلامه ويسمع نداء الله الذي كان يتكلم عنه الأب جوزيه يبدرو. واتجه بكل كائنه نحو الله، وكان يصلي أمام الصور التي أعطاها إياها الخوري وفي اليوم الأول، وقبل بصفير السخريفة في المستودع، فضرب ولدأ من الاصغر سناً، وصمت الباقون. وفي اليوم التالي، قال له الأب إنه «أي «سكر الشعير»، قد أساء العمل، وأنه كان عليه أن يتألم من أجل الله، وحينئذ أعطى «سكر الشعير» موساه الجديدة تقريباً إلى الصبي الذي صربه. وأبدأ بعد ذلك لم يضرب أي غلام آخر. وكان يتجنب التجاذلات والخلافات، وإذا كان لم يتجنب السرقات، فذلك لأنها كانت وسيلتهم للعيش، بل وسيلتهم الوحيدة كان «سكر الشعير» يحس شدة بدعوة الله، وكان يريد أن يتألم من أجل الله. وساعات وساعات، كان يركع في المستودع راقداً على الأرض، وكان يصلي حتى وهو منها لك ناعساً. ويهرب من الرنجيات الصغيرة اللواتي كن يعرضن عليه مجامعتن على رمال الساحل الساحة، لكنه، حينئذ كان يحل الله الطيبة الثقية، ويقدم أله لقاء الآلام التي عاناها الله على الأرض اثر ذلك، جاء ذلك الكشف عن الله المقاضي، محقق العدالة،

(بالنسبة لسكر الشعير ، أصبح هذا الإله المنتقم) واجتاح خوف الله قلبه ، واختلط مع حب الله . وأصبحت صلواته أقل طولاً ، فكان هول الجمع يختلط بنعم الله والمتع التي يعطيها . كان يصوم أياماً بكاملها . وأصبح وجهه خيلاً مثل وجه زاهد متسلك . كانت له عينا صوفي ، وكان يعتقد أنه يرى الله عبر ليالي الرقاد . ولذلك كان يبعد نظراته عن أرداف وهود الزنوجيات الصغيرات اللواتي كن يسرن كأنهن يرقصن ، هل أنظر الجمع ، في أزقة المدينة العميقة . وكان يأمل في أن يصبح يوماً كاهناً لاله ، وأن يعيش فقط للتأمل فيه ، وأن لا يعيش إلا من أجله . وكان حب الله يمنحه الأمل في النجاح . وأن الخوف من الله المنتقم من خطايا سكر الشعير ، كان يجعله يائساً من الخلاص . وهذا الحب ، وهذا الخوف ، هما اللذان كانا يعلنان سكر الشعير ، ويتدرد أمام هذه الواجهة الزجاجية ، في ساعة الظهر هذه ، المألى بالجمال . الشمس لطيفة ونيرة ، والازهار تنفتح في الحديقة ، وفي كل مكان يسود الهدوء والسلام . ولكن كانت أجمل بين جميع الأشياء هذه الصورة للجليل الإلهي ، مع الطفل يسوع ، التي كانت على رف هذا الحانوت ، ذي الباب الواحد . وفي الواجهة الزجاجية ، صور قديسين ، وكتب صلاة قيمة التجليد ، ومسابح ذهبية ، وذخيرات فضية . لكن في الداخل ، في آخر الرف الذي يصل إلى الباب ، كانت عدراء الحبل قد الطفل يسوع نحو « سكر الشعير » ، واعتقد « سكر الشعير » أن العدراء تريد أن تعهد إليه بالله الطيب ، الله الطيب الصغير والعاري تماماً ، الفقير مثل « سكر الشعير » . لقد صنع النحات الولد خيلاً ، والعدراء حزينه جداً لحوال صغيرها . عازضة إنياء أناس الأشخاص البديناء والأغنياء . لذلك كان التمثال يبقسى في الحانوت ، ولا يسباع . إن الطفل يسوع في الصور والتماثيل المعروفة هو دائماً طفل جبل بسديس . بجثة ولد غني ، إله غني . وهو هنا إله فقير ، ولد فقير ، مشابه تماماً لـ « سكر الشعير » ومشابه أكثر أيضاً للأولاد الأصغر في الجماعة ، ومماثل بالضغط لولد في المهد ، البالغ بصمة أشهر فقط من العمر ، الذي ترك يوماً في الشارع ، حيث ماتت أمه من نوبة قلبية ، وهي تحمله بين ذراعيها ، والذي أحضره جوارو غراندي إلى المستودع ، حيث بقي حتى نهاية فترة بعد الظهر (وكان الأولاد يأتون وينظرون ويضحكون من الاستناد ومن التزعج . المنهمكين في تأمير الحليب والماء للطفل الرضيع) . حتى جاءت الماي - دي سانتو آتينها . وأخذته معها ، مرقدة إياه على صدرها . مع فارق وحيد ، هو أن هذا الطفل هو زعني ، في حين أن الطفل يسوع هو أبيض . وبالأجمال ، فإن التشابه كامل . إن له وجهاً باكياً ، هذا الطفل يسوع المزبل والفقير ، بين ذراعي العدراء . وهذه تهديه

إلى « سكر الشعير » ، ولدا عابت « سكر الشعير » ، ولحب « سكر الشعير » . وهناك في الخارج ، النهار حيل ، والشمس رحيمة ، والازهار مفتحة . ووحده ، في هذا النهار ، الطفل يسوع جالس وبردان . إن « سكر الشعير » سيأخذه إلى مستودع « فرسان الرمال » ويصلي لأجله ، ويعني به ، وسيفديه بجه . إلا بظهر النظر تماماً أنه يعكس جميع التماثيل والصور ، ليس الطفل يسوع محبوساً بين ذراعي العدراء ، وأنه حر بين يديها ، وأنها تقدمه لحنان « سكر الشعير » . وخطا خطوة إلى الأمام ، وفي داخل الحانوت ، كانت آتنة وجيدة تنتظر الزبائن ، وهي تجرب على شفتيها مازكة جديدة من أحر الشفاء . وليس ما هو أبسط من أخذ الطفل يسوع . ومد « سكر الشعير » قدمه ليخطو خطوة أخرى ، لكن خوف الله احتاحه . وظل ساكناً بلا حراك . يفكر . وهو في خوفه ، أقسم بأنه لن يسرق إلا لكي يأكل . أو حين تقضي بذلك قوانين الجماعة ، أي القيام بعملية سطو بعينه للقيام بها بحدود مالا ذلك لأنه كان يقدر أن خيانة القوانين (إنها لم تكن لكنها كانت مسجلة في ضمير كل ولد من أعضاء الجماعة) إن خيانة قوانين « فرسان الرمال » كانت أيضاً خطية . وهو الآن يسرق الطفل يسوع ، لا لشئ ، إلا ليكون معه . ولعذبه بجمانه . كانت هذه خطيته ، لأنه لا يفعل ذلك لكي يأكل ، أو لكي يطعم قوايين « فرسان الرمال » . كانت هذه خطيته ، انه يسرق ليس من أجل أن يأكل ، ولا لكي يتدفأ . إن الله عادل ، وسعاقبه ، وسوف يسلمه لنيران الجمع المتأججة . وسوف يجترق لحمه ، ويدها الثنان سناخدان الطفل يسوع ، ستحترق طوال حياة لن تنتهي أبداً . لقد كان الطفل يسوع ملكاً لصاحب الحانوت . لكن هذا لديه أطفال - يسوع كثيرون ، وجميعهم بديناء وممردون ، كثيرون بحيث أنه لن يشمر بالقص للعقدان واحد ، تحيل وضعيف البنية جداً والأخرون كانوا ملفوفين في أقمشة ثميّة ، دائماً أقمشة ورقاء . ساوية لكن من السيج الغالي الثمن . أما هذا الطفل يسوع ، فكان عارياً كلياً ، وكان يحس بالبرد في بطنه ، كان ناعلاً هزيلاً ، وحتى من النحات لم يحصل على أي حنا . وكانت العدراء تقدمه لـ « سكر الشعير » وكان الطفل حراً بين ذراعيها . إن لدى صاحب الحانوت كثيراً من الأطفال - يسوع ، كثيراً . وكيف يشعر بالقص إذا فقد هذا الطفل يسوع ، المزبل والعاري ؟ ولعل صاحب الحانوت لن يعلق عليه أهمية . بل ربما يصلح حين سبيل بسرقة هذا الطفل يسوع الذي لم يتوصل أبداً لبيعه ، والذي كان حراً بين ذراعي العدراء ، والذي أمامه كانت النساء التقيات اللواتي يأتين للشراء يصحن مرتعات :

— كلا . ليس هذا إلا ! انه تبجح جداً قليلاً بغيره في الله . . . وهو ، فوق ذلك ،

موصول عن ذراعي سيدنا العذراء . إنه سوف يسقط على الأرض ، وينتهي الامر ... لا ، ليس هذا .

وفي الطفل يسوع هنا . كانت العذراء تقدمه لحنان المارة ، ولكن لم يكن احد يريد له . لم تكن النساء التقيات بردنه لأجل زاوية صلاصلا في منازلهن ، حيث يوجد أطفال - يسوع آخرون ، يستلطن صنادل فضية ، ومنوجون بتاج ذهبي ، ورأى « سكر الشعير » فقط أن الصغير يسوع حائج وظايق ، ويردان أيضاً ، وكان يريد أخذه . لكن « سكر الشعير » لم يكن لديه تقود ، كما لم تكن لديه العادة لشراء الأشياء . كان يستطيع أخذه ، كان يستطيع أن يعطي الطفل يسوع ما يأكله ، وما يشربه ، وما يرتديه ، كل هذا يستداه من حبه لله . ولكن إن فعل ذلك ، أي إن سرق الطفل يسوع ، فسوف يعاقبه الله ، وسوف تلتهب نار جهنم كل حياة « سكر الشعير » التي لا تنتهي ، وبسببه اللتين ستأخذان الطفل يسوع ورأسه الذي يفكر في أخذه . وحينئذ تذكر « سكر الشعير » أن الية وحدها تشكل خطيئة ، وأن الشخص يخطئ فقط حين يفكر في فعل الخطيئة . لقد قال الاح الألمان أن الشخص يكون في كثير من الأحيان أخذاً بارتكاب الخطيئة ، وهو لا يعرف ذلك ، لأنه يخطئ بالفكر ، فخاف « سكر الشعير » من الله ، وانطلق راكضاً بسرعة ، لكي لا يستمر في ارتكاب الخطيئة . لكنه لم يركض زمناً طويلاً ، بل وقف عند زاوية الطريق ، ولم يستطع أن يتبعد كثيراً عن التمثال . ونظر إلى الواجهات الزجاجية الأخرى ، وعلى هذا النحو لم يكن يرتكب الخطيئة . ودمس يديه في جيبه ، (كان يمسك بها ...) وحول سير أفكاره . ولكن الآن كان يمر أمامه الرجال العالدين إلى عملهم بعد الغداء ، وساورته فكرة : بعد لحظات ، سيعود مستخدمو الحانوت الآخرون ، وحينئذ سيكون من المستحيل أخذ الطفل يسوع . سيكون ذلك مستحيلاً ... وعاد « سكر الشعير » إلى أمام بحزن الأشياء الدينية

هنا كان الطفل يسوع ، والعذراء التي تقدمه إلى « سكر الشعير » . ودقت ساعة جدارية الساعة الواحدة بعد الظهر . لن يلبث أن يحضر المستخدمون الآخرون في الحانوت . ولم سيكونون ؟ حتى ولو لم يكن هناك سوى مستخدم واحد ، فإن الحانوت صغير ، بحيث يصبح مستحيلاً أخذ الطفل يسوع . وبدا له أن العذراء هي التي تهتم له بهذا . والعذراء هي التي تقول له إنه إذا لم يأخذ الطفل - يسوع - فوراً ، فهو لن يستطيع أخذه بعد ذلك . كأنها تماماً تقول هذا . وبالتأكيد أنها هي ، أجل ، هي التي جعلت الأنسة تحففي وراء الستار الموجود في عمق المخزن ، الذي تلمست الآن عن حراسته . نعم ، إنها العذراء التي تمد الآن الطفل يسوع نحو « سكر الشعير » بمقدار ما

يسمح لها ذراعها ، ندعوه بصوتها اللطيف :

- « خذوه واعتن به جيداً ... اعتن به جيداً ... » .

تقدم « سكر الشعير » ورأى الجحيم وعقاب الله ، ويداه ورأسه التي تحترق طوال حياة لا تنتهي ، لكنه هز نفسه كأنه يلقي عنه بعيداً تلك الرؤيا ، وتلقى الطفل يسوع الذي كانت تقدمه له العذراء واستداه إلى صدره ، واختفى في الشارع . لم يكن ينظر إلى الطفل يسوع . لكنه حذر الآن ، أن الطفل يسوع ، المستود إلى صدره ، ينتم ، وهو لم يعد جائعاً ، ولا ظايق ، ولا يحس بالبرد . إن الطفل يسوع ينتم كما كان ينتم الزنحي الصغير حين صار في المستودع ، وكان يرى أن جوار حراستي كان يعطيه الحليب بالمعلقة ، بيديه الخائلي الكبير ، في حين كان « الأستاذ » يشده على دفة صدره .

العائنة

وهكذا ابتم الطفل يسوع

إن «الشارب اللطيف» هو الذي يحكى لبيدرو بالآ أن في ذلك المنزل يحيى «لاعراسا» يوجد ذهب عمقدار يفقدك العقل. إن صاحب المنزل، كما يبدو، هو جامع تحف، وقد علم «الشارب اللطيف» من أحد اللصوص أنه يوجد في ذلك المنزل غرفة محشوة بالخلي الذهبية والفضية، التي يمكن أن يعود بيعها بثروة كبيرة. وفي فترة قبل الظهر، ذهب لبيدرو بالآ لمشاهدة المنزل، مع «الشارب اللطيف». وكان عبارة عن عبارة عصرية وأنيقة، ترجد أمامها حديقة، ومرآب في العمق. وهي مسكن فسيح لأشخاص أغنياء. وبصق «الشارب اللطيف» من بين أسنانه، ورسم ببصقته زهرة على الرصيف، ثم قال:

- والقول إنه في هذا القصر يسكن عجوزان فقط ..

وعلق لبيدرو بالآ قائلاً:

- كروح جميل جداً ..

وفتحت خادمة الباب الآماني، وخرجت إلى الحديقة. وفي اليوم الذي طهره للأنتظار، شاهدوا لوحات معلقة على الجدران، وعلى الطاولات كانت تماثيل صغيرة، واستغرق لبيدرو بالآ بالضحك.

- لو أن «الاستاذ» رأى هذا، لأصيب بالجنون .. إذ لم يسبق لي أبداً أن رأيت مثل هذا المقدار من الكتب واللوحات.

- سوف يرسم لوحة وحمية لي، بهذا الكبر... وأشار «الشارب اللطيف» إلى «هذا الكبر» بإبعاده يديه أحدهما عن الأخرى.

ونصر لبيدرو بالآ مرة أخرى إلى المنزل، واقترب قليلاً من الحديقة وهو يصغر. كانت الخادمة تقطف الأزهار، وكان نهداها النقيان يظهران تحت الثوب المكشوف الرقية والكتفين (الديكولتيه) لأنها كانت منحنية. كانا نهدان أبيضين، ينتهيان بجلنتين قمرزيتين. تنهد «الشارب اللطيف» إلى جانبه.

- يا له من حل يا بالآ

- سد بورك.

لكن الخادمة كانت قد رأتها، وأخذت تنظر إليها وكأنها تسألها ماذا يريدان. حلق لبيدرو بالآ كاسكبته وسأل:

- هل يمكنك أن تعطينا قذح ماء إن سمحت إن الشمس قوية الحرارة .. وانسم، ماسحاً بكاسكبته جهنم التي كان يسيل عليها العرق. كان شديد الاحمرار، تحت الشمس، وشعره الأشقر والطويل يسرسل على أذنيه بتموجات غير منسقة، وقد نفرت إليه الخادمة بعطف، وإلى جانبه، كان «الشارب اللطيف» يدهن عقب سيجارة، ورجله على حاجر الحديقة الصغير. وخاطبت الخادمة أولاً «الشارب اللطيف» بازديراً

- انزل قدمك من الحاجر يا هذا!

ثم امتست لبيدرو بالآ

- سأحضر الماء فوراً ..

وعادت مع كوفي ماء. وكانا كوبين لم يسبق ان رأى مثلها، لشدة جمالها وشراب الماء، وشكرها لبيدرو بالآ:

- شكراً حزيلاً

ثم قال بصوت منخفض - جمال ناهر.

أجابت الخادمة، هي أيضاً، بصوت منخفض: - ديك صغير جهور ..

- في أنه ساعة نحر حرم من هنا؟

- يا لك من شخص! إن عدي رجلي وهو ينتظرني في الساعة التاسعة مساءً، هند هذه الرواية من الشارع.

- حساً! هذا المساء، سأكون عند الرواية الأخرى.

وذهبا عمر الشارع، و «الشارب اللطيف» بدخى عقت سيجارته وهو يهزي وجهه بالعمعة المسدرة، التي كان يحملها، وعلق لبيدرو بالآ:

- امي حذات جداً وهذه امرأة ناصجة تماماً...

بصق «الشارب اللطيف» عدداً من بين أسنانه.

- أيضاً مع هذا الشعر السوي المستعار المليء بالغصلات المجعدة...

رفع لبيدرو بالآ قصصه في وجه «الشارب اللطيف»:

- دعني من حسدك، أيها الخلاصي المززعج.

وعمره الشارب اللطيف، الحديث:

- ماذا عن قطع النكاح؟

- هذا أولاً عمل لأجل «ذي الرجل الرخوة»، غداً سيجد وسيلة للدخول إلى هذا المنزل، نقضاء بضعة أيام فيه. وبعدئذ، سوف يعرف أين توجد أفضل القطع، ونأتي خسة أو ستة، ونأخذ البضاعة.

- وستفقد طريقتك؟

- الخادمة الصغيرة؟ سوف أنالها هذه الليلة بالذات، وحين تدق الساعة التاسعة، سأكون هناك.

والثغف ونظر إلى المنزل. كانت الخادمة متكئة على الحاجز الحديدى. وجباها بيدرو بالا مودعاً، وردت التحية. وبصق «الشارب اللطيف»:

- يا للشيطان أي حظ لأم أر في حياتي مثل هذا الحظ.

في اليوم التالي، حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف قبل الظهر، طهر «دو الرجل الرخوة» أمام المنزل. وحين دق الجرس، كانت الخادمة ما تزال تفكر في الليلة التي قضتها مع بيدرو بالا، في عرفتها بحي «عارسيا»، إذ أنها لم تسمع رنين الجرس. ودق العلام الجرس ثانية. فظهر من نافذة غرفة في الطبقة الأولى من المنزل، رأس وخطه الشيب لسيدة راحت تنظر إلى «ذي الرجل الرخوة»، وعينها نظرفان

- ماذا تريد، يا سي؟

- يا سيدتي، اني ولد بيتي.

اشارت له المرأة بأن ينتظر، وبعد بصع دقائق، كانت عند البوابة دون أن تسمع كلام الخادمة التي كانت تعتذر لأنها لم تسمع رنين الجرس وقالت السيدة

- تستطيع أن تتكلم، يا ولدي

كانت تنأمل اسبال «ذي الرجل الرخوة»

- يا سيدتي لم يعد لي أب، ومنذ أيام توفيت أمي إلى رحمة الله...

وأندى شريطة سوداء على ساعده. وهي ساعدة صنعت من شريطة تعة القط، الحديدية - الذي اصابه حبس عصب شديد

وعاد «دو الرجل الرخوة» يقول للسيدة

- ليس لي أحد في العالم، أنا معاق، ولا أستطيع العمل كثيراً ومنذ يومين لم أذق

الطعام، وليس لدي مكان أنام فيه.

كان يبدو وكأنه على وشك البكاء. وكانت السيدة تنظر إليه، متأثرة جداً:

- هل انت معاق، يا بني؟

أظهر «دو الرجل الرخوة» ساقه العرجاء، وسار امام السيدة مبالغاً في عرجه. وحدثت اليه بعطف:

- بأي شيء ماتت امك؟

- الحقيقة لست أدري. لقد أصيبت المسكينه بمرض لا أعرف اسمه، حمى سيئة فلاقته وحدها بعد خمسة أيام. وخلصتني وحيداً في العالم... لو على الأقل كنت أستطيع العمل... كنت سأدبر، كنت أستطيع أن اتدبر أمري. ولكن مع هذا العرج، لا حيلة لي الا في منزل عائلة... ألا تحتاجون إلى ولد صغير ليقوم بالمشتريات، ويساعد في العمل في المنزل؟ إذا كنتم بحاجة الي يا سيدتي...

وإذا أن «ذا الرجل الرخوة» اعتبر أنها ما زالت مترددة، أكمل كلامه بوقاحة، وبصوت ماك:

- لو انني اودت لانضممت إلى هؤلاء الغلمان اللصوص، إلى «فرسان الرمال». لكسي أنا، لا أكل من هذا الخبز، انني اريد أن اعمل. ولكن هناك أنني لا أستطيع أن اتحمل عملاً كبيراً. أنا بنتم مسكين، أنا جائع.. لكن المرأة لم تكن أبداً مترددة وكانت تذكو ولدها الذي مات وهو في سن هذا الغلام والذي قتل موته كل بهجة عيش مع روحها، وهذا، على الأقل، كانت لديه مجموعاته من الأعمال الفنية، لكنها، من جهتها لم تكن تملك سوى ذكرى هذا الابن الذي عادها في وقت مبكر جداً. لذلك كانت تنظر بجنون كبير إلى «ذي الرجل الرخوة» المرتدي الاسبال السالية. وتكلمه بصوت ليس لطيف هو لطف الأيام العادية. كان هناك بعض البهجة في لطف صوتها، وقد اذهل ذلك الخادمة:

- ادخل يا ولدي. لا تقلق. سوف أجد لك عملاً.

ووصعت يداً دقيقة وأرستقراطية، بتلاً فبها حمام ذو مساسة على رأس «ذي الرجل الرخوة» القدر، وقالت للخادمة:

- يا ماري - جوزيه، اعدي القرفة القائلة نوق المرآب لهذا الولد. ودليه على قاعة الحمام وأعطيه مشط راؤول وائر ذلك. اعدي له الطعام.

- هل قل أن اعد الغداء، يا دونا استير؟

- نعم، قل. منذ يومين لم يأكل، هذا المسكين الصغير.

لم ينسب « ذو الرجل الرخوة » بكلمة « وكان يقوم فقط. بسج دموعه المتعلقة
بظاهر يده

قالك السيدة. لانتك. وأخذت تمسح على وجه الولد.

- انك طيبة جداً فليكافئك الله على هذا...

واثر ذلك، سألته عن اسمه، فأعطى أول اسم خطر بباله:

- أوغست...

وبضراً لانه راح يردد الاسم، لذاته لكي لا ينسى أنه يدعى «أوغست» ولم ير
بإدائه، بدء الأعمال البديعة التي همست قائلة:

- أوغست، انه نفس الاسم...

وأضاعت بصوت عال، لأن « ذا الرجل الرخوة » كان الآن ينظر إلى وجهها
المعقل

- امي كان أيضاً يدعى أوغست... لقد مات وهو في نفس سنك... ولكن
ادخل يا ولدي اذهب واغتسل، لكي تأكل

تبعته الدونا استير، متأثرة. وراحت أن الحادثة كانت تشير لـ « ذي الرجل
الرخوة » إلى مكان الحمام، وتعليق مزر حمام، ونتيجة نحو الغرفة القائمة فوق المرائب،
لكي ترننها (كان السائق قد أخذ عطلة، وكانت الغرفة حالية) اقتربت الدونا استير
وقالت لـ « ذي الرجل الرخوة »، الذي كان قد توقف عند باب الحمام

- تستطيع أن تلقي عنك هذه الملابس، وستطبخ ماري - حورية ملابس
أخرى...

راح « ذو الرجل الرخوة » ينظر، الآن، إلى السيدة التي كانت تبعد. وكان
عاصياً. لكنه لم يكن يعرف اذا كان غاضباً ضدها أو ضد نفسه.

جلست دوناً استير امام مصدة زينتها، وليست ثابتة العينين، والذي يراها يعتقد
أنها تنظر إلى السماء عبر النافذة، لكنها في الحقيقة، لم تكن تنظر إلى شيء، ولم تكن ترى
شيئاً كانت تنظر، عم، ولكن إلى داخل ذاتها، نحو ذكرى سنوات بعيدة، وكانت
ترى غلاماً صغيراً في مثل سن « ذي الرجل الرخوة »، وهو، أي ولدها، كان ليساً
ثياب بخار. ويركض عبر حديقة المنزل، الذي تركوه بعد موته. كان ولداً ملؤه الحياة
والبهجة، وكان يحب الصلح والفقر. وحين كان يتعب من الركض مع الحر، ومن
الصعود إلى أروحة الحديقة، ومن القاء الكرة المطاطية، في الداحة، حيث يكون على
الكلب - الدب (الشبان - لو) أن يلتقطها، كان يأتي ويجبط بساعده عنق الدونا استير،

ويقبلها على وجهها، ويبقى معها، ناظر إلى الكتب المصورة، متعلماً قراءة الحروف
ورسمها. ولكي يتقيه معها أطول فترة ممكنة. قررت دوناً استير وزوجها أن يعلما
ولدها بداية القراءة في المنزل بالذات. وفي أحد الأيام (هذا اغرورقت عينها الدونا
استير بالدموع) أصابت الولد الحصى. واطر ذلك، اجنار العنش الصغير الساب،
وكانت الأم تنظر اليه مدهولة العينين، ولم تكن تستطيع أن تنهم أن ولدها قد مات.
كاتب صورته - في اطار كبير - في غرفتها، ولكن كان يحفبه ستر دائماً، لأنها لم ترد
رؤية صورة ولدها مجدداً، لكي لا تجدد عصفها. وحتى الملابس التي كان يرتديها قد
جمعت في حقة صغيرة، ولم يمض أحد أبداً بعد ذلك. لكي الآن كانت دوناً استير
تسحب معانيح علبة حلالها

وسط، ببطء شديد، انجذبت نحو المكان الذي توجد فيه الحقيبة. وقررت كرسياً
جلس عليه. وفتحت الحقيبة بيديها لترجمعتين، وأخذت تتأمل السراويل والكنزات،
ولبوة الحرية، والبيجامات، وقمصان الليل التي كان ينام بها. وشدت لبوة البحرية
على صدرها كما لو كانت تمناق ولدها. وتفتحت دموعها

والآن، حاء غلام صغير فقير وبني، يدق بابها. وبعد موت ولدها، لم ترد أولاداً
آخرين، بل لم تكن تحب رؤية أولاد الآخرين، ولا أن تلاحظهم لكي لا تزعج الألم
الذي يراود ذكرائها. ولكن ها هو أحد هؤلاء الأولاد، فقير وبني، معاق وحزين.
ويقول أنه يسمى « أوغست » مثل ولدها، قد جاء يدق بابها، طالباً الخبز والماء وقليل
من الخنان. لهذا أصبحت لديها الشجاعة لتفتح هذه الحقيبة ولأن تخرج منها ري البحار
هذا الأرق، هذه البذلة التي كان يعبها من بين جعب الملابس الأخرى - ذلك لأنه،
بالنسبة للدونا استير، قد عاد انشا اليوم في صورة هذا الولد المعاق واللايس الاسال،
وهو يدق أم ولا أب. لقد عاد ولدها، ودموعها ليست دموع ألم فقط. لقد عاد
ابها، شاحاً مزليلاً. وجاءت مع ساق مقطوعة، ومرتبداً الاسال البالية. ولكن عما
قريب يصيح من جديد أوغست السعيد والمرح، أوغست الأعوام المنصرمة، ومن
جديد سياتي ليحيط بساعده عنقها، وليقرأ حروف الابجدية الكبيرة.

نهضت الدونا استير. وحملت لبوة البحرية الزرقاء. وتناول « ذو الرجل الرخوة »
افضل روحه في حياته، مرتدياً هذه البذلة.

فلو أن بذلة البحار قد صنعت لأجله، لما كانت أفضل مما هي عليه الآن. فقد
ناست تماماً « ذا الرجل الرخوة »، وحين نظر إلى نفسه في المرآة، تعرف إلى ذاته
نصوبة. لقد استنجم. وقد وضعت الخادمة البريانتين على شعره، وعطراً على وجهه.

وهذه البذلة البحرية كانت رائعة. وراح ، ذو الرجل الرخوة ، يتأمل نفسه في المرآة. وأمر يده على رأسه ، ثم على صدره ، ممسكاً ثيابه ، وابتنس وهو يفكر في « القط » . وكان يمكن أن يدفع غالباً لكي يراه « القط » ، في مثل هذه الاناقة . وكان لديه أيضاً حذاء حديد ، ولكن الحقيقة هي أن الحذاء كان ينثر قرقه ، بعض الشيء ، لأن له عقدة شريط ، ويشبه قليلاً حذاء المرأة . وكان « ذو الرجل الرخوة » يجد أن من الغريب أن يلبس - ثوب بحار ، مع حذاء نسائي . واتفق نحو الحديقة ذلك لأنه كان يريد التدخين ، فهو لم يمسح أبداً عن التدخين بعد الغداء . وأحياناً لم يكن هناك غداء ، ولكن دائماً كان هناك عشب سيجارة ما . وهنا ، كان يجب الانتباه ، أنه لا يستطيع أن يدخل على المكشوف ولو أنهم تركوه في المطبخ ، مختلطاً بالخدم . كما كانت الحال في المنازل الأخرى ، إلى حيث تم ادخاله لكي يسرق اثر ذلك ، لكان في استطاعته التدخين ، وأن يعبر عن نفسه بلغة « فرسان الرمال » المحنصرة لكس هذه المرة ، جرى تحميمه ، وألبس ثياباً جديدة . ووضع بريانتي على شعره وعطر على وجهه . واثراً ذلك ، جرى طعامه في غرفة الطعام . وأثناء تناول الوجبة ، كانت السيدة تحادثه كما لو كان غلاماً صغيراً حس التربة . والآن ، أرسلته للعب في الحديقة ، حيث كان المر الاصفر المسمى « بيرلوك » ^(٢٢) يستدفي في الشمس واقترب « ذو الرجل الرخوة » من أحد المقاعد ، وأخرج من حبه علبة سحائر رخيصة الثمن . فهو ، لدى تغييره ملابسه ، لم يسس علبة الدخان واشعل سيجارة وبدأ يندوق دفقات الدخان في الوقت نفسه مع تفكيره في حياته الجديدة . لقد سبق أن قام بهذا مراراً عديدة : أن يدخل إلى منزل عائلة جيدة كولد فقير ، يتيم ، ومعاق ، وعلى هذا الأساس ، كان يبقى في ذلك المنزل الوقت الضموري لكي يستكشف المنزل بصورة كاملة ، والمراضح التي خبئت فيها الأشياء الثمينة ، والمخازن الملائمة للهرب . واثراً ذلك ، كان « فرسان الرمال » يجتاحون المنزل ، خلال إحدى الليالي . أحذين الأشياء الثمينة ، وفي المستودع كان « ذو الرجل الرخوة » ينتهج . وقد استول عليه فرح هائل ، فزح بأنه قد انتقم ، لأهم في هذه الممار ، إن كانوا يستميلونه ، وإذا كان يعطى خبزاً وصارياً ، فذلك كما لو أنهم يقومون بواجب مصحر ، كان أصحاب المنازل يتلافون الاقتراب منه ، ويتركونه في القنطرة . وهم لم يصدر منهم أبداً أي كلام طيب . وكانوا ينظرون إليه كأنهم لياؤله

(٢٢) « بيرلوك » أي الخاطب

- ملاحظة من المترجم -

متى سيرحل ، واداً لم يكن تأخر على الرحيل ، وفي كثير من الاحيان كانت السيدة التي تأثرت لدى روايته قصته ، التي كان يروها عند الساب بصوت يمزق الاحشاء ، واستعملته ، تظهر علامات واضحة على الندم . وبالنسبة لـ « ذي الرجل الرخوة » ، كانت السيدات تستقبله في ندم ، لأن « ذا الرجل الرخوة » كان يعتبرهم جميعاً مسؤولات عن وضع جميع الأولاد الفقراء . وكان يفضيهم جميعاً ، ويتفق أزواجهن وأولادهم ، بفضاء عميقة . وكان استهجا الكبير « الوحيد تقريباً » هو أنثارت لياؤس العائلات بعد السرعة ، لدى تفكيرها بأن هذا الغلام الجامع الذي اعلمته كان هو الذي استطاع المنزل وعي الأولاد جاعين آخرين أماكن وجود الأشياء الثمينة .

ولكن هذا المرة ، كان الأمر مختلفاً . هذه المرة ، لم يترك في المطبخ مع اسائه البالية ، وهو لم يترك للوم في الباحة . لقد اعطى ملابس ، وغرفة ، ووجبة في غرفة الطعام . وقد استقبل كضيف ، كضيف محبوب . وهو ، أثناء تدخينه سيجارته سراً ، كان يتساءل في نفسه لماذا يحبني للتدخين . انه لا يفهم شيئاً مما يحدث . كان وجهه مهتماً إنه يذكّر أيام السجن ، والصربات التي توجه اليه ، والاحلام التي لم تكف عن مرادونه ، وفجأة احس بالخوف ، كان يخاف من أنه في هذا المنزل ، سيعامل بطيبة ، من أن أصحاب المنزل سيعاملونه بطيبة ، أحل . وهو لا يعرف لماذا هو خائف . وخرج من مخبئه ، وذهب للتدخين تحت نافذة السيدة بالضبط . وهكذا سيرون أنه ولد ضال ، وأنه لا يستحق العرفة والملابس الجديدة ، ووجبات في غرفة الطعام . وهكذا سوف يرسلونه إلى المطبخ ، وسوف يستطيع أن يقوم بنجاح بعمله الانتقامي ، وأن يغذي الغشاء في قلبه ، ذلك لأنه اذا اختفت هذه الغشاء ، فسوف يموت ، ولن يبقى لديه أي سبب للحياة . ومرة امام عينيه رؤيا الرجل الذي يرى الجنود ينهلون بالضرب عليه (أي) على « ذي الرجل الرخوة » ، فيعبر (أي الرجل) بضحكة فظة . وهذا ما يجب أن يمسح « ذا الرجل الرخوة » دائماً من أن يرى وجه الدونا اسير المقدم بالطيبة . وبأدرة الأب حوزبه يبدو الحماية له ، ونصاصر الفضلات الاصرارية لئامسالم الميساء ، جان دادام . سوف يبقى وحيداً وبفضاؤه سوف تشملهم جميعاً ، بيضاء وزوجاً ، رجلاً ونساءً ، أعباء ، وفقرًا . لهذا يحبني أن يكون الناس طيبين نحوه .

وفي فترة بعد الظهر ، وصل صاحب المنزل والأول من مكتبه ، كان محامياً شهيراً جداً حقق ثروة من مهنته ، وهو يقوم بالتدريس في كلية الحقوق ، ولكنه موق كل شيء . كان هاوي مجموعات . كان لديه رواق ممتاز من اللوحات ، والعملات القديمة ، والأعمال الفنية الثمينة . وفي هذه اللحظة ، كان « ذو الرجل الرخوة » يتفرج على الصور

في أحد كتب الأضغال، ويصحك على نفسه على الليل الابله الذي يحده القرد ولم يره راؤول بل صعد الدرج، ولكن بعد ذلك مورياً، جاءت الخادمة تدعو « ذا الرجل الروحة » فادته إلى غرفة الدونا استير، وكان راؤول في القمص، بدون سترة، يدخل سيجارة، ونظر إلى الولد ماثمة مرحلة. ذلك لأن ملايح « ذي الرجل الروحة » كانت تعبر عن رساك لدى دحوه العرفه.

- ادخل ..

كان « ذو الرجل الروحة » يتربع، ولا يعرف أين يضع يديه، وقالت له الدونا استير بطيئة

- اجلس، يا بني.. ولا تحف

جلس « ذو الرجل الروحة » على حافة كرسي، وانتظر وراح المحامي يتفحصه، دارساً وجهه، ولكن كان ذلك معطى، وكان « ذو الرجل الروحة » بعد أجونه على الأسئلة التي لا بد منها وحكى مرة ثانية القصة التي اختلقها في الصباح، ولكن حين بدأ يبكي بدموع غزيرة، دعاه المحامي للتوقف، وبض متحجاً نحو النافذة وفهم « ذو الرجل الروحة » أن الرجل قد تأثر، ونتيجة منه (أي « ذو الرجل الروحة ») هذه جعلته يعجز واتسم في دخلته، ولكن الآن اقترب المحامي من الدونا استير، وقلها على الحبيب. ثم في شفتها. وعرض « ذو الرجل الروحة » مصره وسار راؤول إليه، ووضع يده على كتفه وقال:

- لا تلك بعد الآن الآن لن نعرف الجوع بعد أبداً. اذهب... اذهب والعب، اذهب وتفرح على الكتب. هذا المساء سذهب إلى السبنا. هل تحب السبنا؟

- نعم، يا سيدي

وصرفه المحامي مشيراً بيده. وخرج « ذو الرجل الروحة »، ولكنه رأى قبل خروجه راؤول يقترب من لدونا استير ويقول لها.

- أنت قدسة. سوف يحمل منه رجلاً. كانت ساعة الغيب، وأضاءت الاوار، وفكر « ذو الرجل الروحة » في أن « فرسان المال » في هذه الساعة يرتادون المدينة بحثاً عن طعام

ولسو الخط، أنه في السبنا، حين كان الشاب ينهال ضرباً على الرجل لفظ لم يستطع « ذو الرجل الروحة » أن يصرح كما كان يفعل في المرات التي يتمكن فيها من الدخول إلى البراق الأعلى لـ « أوبليا » أو إلى سبنا « إيتا جيب » أما هنا، في سبنا « غواراني » المدمة والمريجة، فكان عليه أن يتناع العليم في صمت، وفي لحظة معينة لم يتمكن فيها

من خالته نفسه فأطلق صغرة، نظر إليه راؤول، صبح أن المحامي كان ينسم، لكن المؤكد أيضاً أنه انتار بمحركة لكي لا يعود « ذو الرجل الروحة » إلى الصغير.

وابر ذلك اصطحوه لاحتساء الشراب في مار قائم تجاه دار السبنا. وفي حين كان يحسي الشراب المنلغ، فكر « ذو الرجل الروحة » في أنه كاد يرتكب حافة لا علاج لها حين سأله المحامي ماذا يريد أن يشرب، وكاد يظلم بيرة مثلحة جداً، لكنه خالط عنه في الوقت المناسب، وطلب شراب العبراء.

وفي تسارة صعد المحامي إلى المقعد الأمامي لقيادة السيارة، وصعد « ذو الرجل الروحة » إلى المقعد الخلفي، مع الدونا استير التي كانت تدرش معه وكانت المحادثة عسيرة على « ذي الرجل الروحة ». الذي كان عليه أن يصط كلاته وتغابره التي كانت بدائية جداً، وملينة بكلمات فظة وكانت الدونا استير تسأله عن أمه، وكان « ذو الرجل الروحة » يجب ما يستطيع، وبدل جهداً كبيراً. المعاصي كان يخلعها لكي لا يفضح أمره في التالي وفي النهاية، ربيد، لن نلزل في حين، عراساً وقادت الدونا استير « ذا الرجل الروحة » إلى العرفه القائمة فوق المرائب.

- ألا تحاف اليوم هنا تمردك؟

- كلا، يا سيدي

- ذلك لصعوبة أيام فقط. وإبر ذلك، سأسلكك فوق في الغرمة التي كاست

لنولدي أوغمت.

- لا داعي لهذا، أيتها الدونا استير فهذه العرفه هنا جيدة جداً

وانخنت عليه وقبلته.

- ليلة سعيدة، يا صغيري.

خرجت، وأقفلت الباب. ولبت « ذو الرجل الروحة » ساكتاً بلا حراك، دون أية حركة، حتى دون أن يجب على التحية المسائية وأضعا يده على وجهه حيث قلته الدونا استير. لم يكن يفكر في شيء، ولا يرى شيئاً لا شيء، إلا في القلة الخلوة، هذه القصة التي لم ينلق مثلها من قبل، إنها قلة أم لا شيء، ألا القلة الخلوة على وجهه. وأحس كأن الأرض توقفت عن الدوران في لحظة القلة هذه، وأن كل شيء قد تغير ولم يعد هناك في الكون مأسره سوى الاحساس اللطيف بهذه القلة الأمرية على وجه « ذي الرجل الروحة »

وإثر ذلك، كان رعب أحلام النحر. والرجل ذو الصدرة الذي كان يصحك غفائقة. والحدود الديس بهالون صرباً على « ذي الرجل الروحة » الذي كان يرتكض

يرجله المماقة حول العرفة، ولكن فجأة برزت الدونا اسير، والرجل ذو الصدر، والجنود الذين يمينون وسط عمليات تعذيب ليس لها مثيل، ذلك لأن « ذا الرجل الروحة » كان يرتدي الآن برة جبار، وكان يمسك بيده سوطاً مثل الشاب في السبيل. وممرت غمابة أيام، وقد جاء بيدرو بالا مراراً عديدة إلى أمام المنزل ليسقط أنباء « ذي الرجل الروحة » الذي تأخو في العودة إلى المستودع، لقد مر أكثر من الوقت اللازم بـ حرف « ذو الرجل الروحة » أماكن الأشياء الثمينة الممكن نقلها، والمخارج التي من شأنها تسهيل الفرار ولكن بدلاً من أن يرى « ذا الرجل الروحة » كان بيدرو نالا يرى الخادمة التي كانت تظن أنه جاء من أجلها. وفي أحد الأيام، وكان يحدث هذه المحادثة، أدار بيدرو بالا الحديث بكثير من البراعة، نحو « ذي الرجل الروحة » - السيدة التي هنا غلام، اليس كذلك؟ - هذا ولد صغير تنتنه وهو لطيف جداً.

انتم بيدرو بالا، لأنه كان يعرف أن « ذا الرجل الروحة » حين يريد، كان يظهر كأفضل غلام صغير في العالم. وتابعت الخادمة تقول:

- إنه أصغر ملك قليلاً، لكنه غلام صغير إنه ليس داعرأ ولا فاسقاً مثلك، انت الذي بدأت بمجامعة النساء. وكانت تضحك من بيدرو بالا قائلة:

- أنت الذي فضضت بكارتي... لا تقولي أشياء خيئة. ثم أن هذه أكذوبة. أنا أقسم على ذلك.

كانت تحب أن يكون هذا صحيحاً، وهي، وان لم تصدق ذلك، ولكن كان يروق لها أن تعوله له. ولم تكن تحس فقط أنها عشيقة الغلام، بل أمه أيضاً. بعض الشيء. - تعال الليلة لأعلمك طريقة متمعة.

- هذه الليلة، عد راوية الشارع... ولكن قولي لي قليلاً: ألا تندبرين أمرك مع الغلام الذي هنا؟

- إنه لا يعرف حتى ما هو هذا الشيء. إنه بلسه صغير، وولد مدليل. اسك نتحاشق أنت ترى جيداً أنه ليس من النوع الذي يروق لي

وفي المرة التالية، أفلح بيدرو بالا في دوية « ذي الرجل الروحة »، وكان هذا الأخير ممدداً في الحديقة (والقطير إلى جانبه). وكان « ذو الرجل الروحة » يتفرح على كتاب للصور، ودخل بيدرو بالا حين شاهده لاساً متطالاً من الكزيمير الرمادي، وبلمرزة جوهرية. وحتى شعره كان مسرحاً! وظل بيدرو بالا فترة فاغر العم، دون أن

يستطيع الصغير « الذي الرجل الروحة ». وأخيراً فمالك نفسه، وصنفر. وسرعان ما بهض « ذو الرجل الروحة » على قدميه، ورأى بيدرو بالا في الجانب الآخر من الشارع، وأشار إليه بأن ينتظره واجتاز البوابة. بعد أن تأكد من أن أحداً لا يحوم في تلك الأماكن.

وانتهج بيدرو بالا نحو زاوية الشارع وتبعه « ذو الرجل الروحة ». وحين أدركه، ازدادت دهشة بيدرو بالا أكثر أيضاً:

- لعنة الله عليك! إنك تفوح منك رائحة طيبة! يا « ذا الرجل الروحة ». أبدي « ذو الرجل الروحة » هيئة منزوعة، لكن بيدرو بالا تابع قائلاً:

- إنك أكثر أناقة بعشر مرات من « القط ». عجباً! فإذا جلست هكذا إلى الكوخ - هكذا كان بيدرو يسمى المستودع - سوف ينقض الآخرون عليك إنك تبدو مثل دمية حقيقية ..

- لا تلتع علي في الطلب... اني انفحص الأشياء... سيكون الأمر أطول مدة، سوف اهرب، وتستطيع أنت أن تأتي مع الآخرين.

- هذه المرة، لست مستعجلاً...

- ذلك لأن الضاعة مقفول عليها بصورة محكمة، هكذا قال « ذو الرجل الروحة » كادياً

- اجهد لتدبير الأمور - انو ذلك تذكر.

- لقد أساء « الذليل »، للتصرف. وقد كاد أن يعترف للشرطة. ولولا دون أنيتها التي اعطته شيئاً ليشربه، ويقي عريمته محمداً، إذن لما عدت رأيته إنه أكثر هزالاً من ملك حديدي.

وعلى هذا، النبأ، استأذن للدهاب، موصياً مرة أخرى « ذا الرجل الروحة » بأن يستعجل

عاد « ذو الرجل الروحة » ليعتمد في الحديقة. لكنه، الآن لم يعد يرى صور الكتاب. إن ما صار يراه، هو « الذليل ». كان « الذليل » هو من أكثر الذين اضطهدهم « ذو الرجل الروحة »، في الحياقة. وكان ابن اشخاص عرب، ويتكلم بلهجة عربية وطريقة، وكان هذا يتيح المجال لسبل من السخرية من جانب « ذي الرجل لروحة ». لم يكن « الذليل » قوي البنية، ولم ينجح أبداً في تكوين مكانة بين « فوسان الرمال ». رغم أن بيدرو بالا و « الاستاد » قد سعوا لاعطائه الرسائل لذلك وكان

يروق ثم أن يكون بينهم أجنبي أو شبه أجنبي. لكن «الدخيل» كان يكتفي بمعاملات مثل وإخلاص صغيرة، متجنباً عمليات السطو المجازفة، وكان يحلم بحقيقة بضائع رخيصة يقوم ببيعها لخدم منازل الأغنياء.

كان «ذو الرجل الرخوة» يسي معاملة بلا شفقة، وبهزأ به، وبلغته الفامضة، ويعقدانه الشجاعة، لكن الآن «ذو الرجل الرخوة» مضطجع في الحديقة، على العشب الناعم، مرتدياً بدلة جيدة، وسرح الشعر ومغطاً، وكتاب صور قربه، كان يمشي في «الدخيل» شبه المبت من الجوع، في حين أنه هو، أي «ذو الرجل الرخوة»، يأكل جيداً ويلبس ملابس جيدة، وليس فقط أن «الدخيل» قد لاس الموت، ولكن خلال هذه الأيام الثمانية، ما زال «فرسان الرمال» سبي الملبس، وسبي التغذية، يامون تحت المطر في المستودع الذي لا سقف له تقريباً، وأنحت الجسور. وخلال هذا الوقت، كان «ذو الرجل الرخوة» ينام في سرير جيد، ويأكل مأكلاً جيداً ولديه أيضاً سيدة تقيه، وتدعو ولدها، وأحسن بأنه خاشع الجماعته، كان مشابهاً لعمال الميناء الذي كان يتحدث عنه جان دادم وهو يصبق على الأرض، دانساً عليها بقدمه علامة على الأرض. إن عامل الميناء هذا، الذي انتقل أثناء الاضراب الكبير إلى الجانب الآخر، إلى حاسب الأغنياء، قد حطم الاضراب، وذهب يجمع الرجال من الخارج للعمل على أرصفة الميناء. ولم يعد أبداً أحد من عمال الميناء، يصافحه. ولم يعد أحد منهم يعامله كصديق. وإذا كان «ذو الرجل الرخوة» يصنع استثناء في بغضه للحسن الشرقي، فذلك فقط لصالح هؤلاء الأولاد الذين يشكلون «فرسان الرمال» كان هؤلاء، رفاسه وصحه، وكانوا عائلين له، وصحابا جميع الآخرين.

كما كان يرى «ذو الرجل الرخوة»، وهو يحس الآن بأنه أخذ بانتخلي عنهم، وأنه أخسد إلى الانتقال إلى الجانب الآخر. عند هذا التفكير، قام بانماصة، وجلس كلا، انه لن يموتهم. قل كل شيء كان هناك قانون الجماعه، قانون «فرسان الرمال» والذين يتوون هذا القانون يطردون من الجماعة، ولا يستعهم أي شيء، فب في هذا العام وما من أحد أصد خان «فرسان الرمال» بالطريقة التي كاد «ذو الرجل الرخوة» أن يموت بها الجماعة. لكي يتحول إلى ولد مدلل، ولكن يصبح واحداً من الأولاد الذين يبالغ أفراد الجماعة بمزاحهم وكرامتهم. كلا، كلا أنه لن يموت «فرسان الرمال» لقد كفته ثلاثة أيام لمعرفة أماكن وجود الأشياء المسموعة في المنزل. لكن الطعام وخزانة الملابس، والعرفة وأكثر من العسفة والخراطة والطعام وحنان الدوا استير جعلته يمضي حتى الآن ثمانية أيام لقد اشتراه

هذا الحنان، كما اشتري عامل الميناء بالمال. لكنه حين وصل إلى هذه النقطة، تساءل إذا كان سيخون الدونا استير. لقد وضعت ثقتها فيه. هي أيضاً، مثل «فرسان الرمال»، تحتفظ بقانون في منزلها: لم تكن تعاقب إلا حين يكون هناك خطأ، وكانت ترد على الخير بالخير. إن «ذو الرجل الرخوة» سيخون هذا القانون. سيد على الخير بالشر. ونذكر المرات الأخرى حيث، حين كان يفر من منزل لتسليمه لعملية سطو، كان فرح عظم يتولى عليه. وهذه المرة، لم يكن أي فرح يخفي في دخيلته. إن بغضه ازاء الجميع لم يتلاش، هذا صحيح. لكنه كان يستي أصحاب هذا المنزل لأن الدونا استير كانت تدعه «ولدي»، وتقبله على خده. كان «ذو الرجل الرخوة» يباذل ضد نفسه. إنه يحب لو استمرت حياته هنا، على هذا النحو. ولكن ماذا سيفيد هذا «فرسان الرمال»؟ إنه واحد منهم، ولن يتمكن أبداً من أن يكف عن كونه واحداً منهم، لأنه في احد الأيام اعقله الجور وانهلوا عليه بالضرب، في حين كان رجل ذو صدره سوداء يضحك ضحكاً قفلاً. وصمم «ذو الرجل الرخوة» واتخذ قراره. لكنه راح يتمتع بمجان بوافد عرفة دونا استير، وهي التي كانت تراقبه لاحظت أنه يبكي.

— أنت نبكي، يا صغيري؟

واخفت من النافذة، وجاءت اليه، وحينئذ فقط، لاحظ «ذو الرجل الرخوة» أنه كان يبكي. وحفف دموعه، وغض يده. وكانت دونا استير قد صارت قربه:

— هل أنت نبكي يا أغوت؟ هل حدث شيء ما؟

— كلا، يا سيدتي. انني لا ابكي.

— لا تكذب يا ولدي. انني أرى ذلك جيداً. ماذا حدث؟ هل انت تفكر في أمك؟

واحتذبه نحوها. وحلست على مقعده، وأسندت رأس «ذو الرجل الرخوة» إلى صدرها الامومي.

— لا تبكي، بعد، أمك الآن، لديك ماما صغيرة أخرى، لا تريد سوى خبك، ولني ستفعل كل شيء، للحلول محل تلك الأم التي فقدتها. (...) وهو سيفعل لها كل شيء، لسل محل الولد الذي فقدته، هذا ما سمعه «ذو الرجل الرخوة» في دخيلة نفسه.

وقلت دونا استير على الخد الذي كانت سبل عليه الدموع.

— لا تبكي، والآن أصاب الحزن والغم أمك

حينئذ انفرجت شفا «ذو الرجل الرخوة»، واستغرق في البكاء، وبكى زمناً طويلاً. مستنداً إلى صدر أمه. وفي حين كان يعانقها، ويسلم لقلاتها، كان يبكي

شدة لأنه سينخل عنها، وأكثر من ذلك أيضاً، لأنه سوف يسرقها. وربما لن نعرف
أنداً أن « ذا الرجل الرخوة » لديه احساس بأنه سوف يسرق نفسه، كما أنها تجهل أن
سكاه ونحبه كانا دعوة للمغفرة.

* * *

تدافعت الاحداث بسرعة لأن راؤول اضطر للقيام برحلة إلى ريو دي جنيرو
لأجل أعمال قضائية مهمة وفكر « ذو الرجل الرخوة » بأنه لا توجد فرصة أفضل
لأجل عملية السطو

وفي فترة بعد الظهر التي ذهب فيها، راح يتأمل المنزل كله، وداعب ميرلوك القط،
وتحدث مع الخادمة. ونظر في كتاب الصور. واثّر ذلك ذهب إلى غفوة دوماً استمر
وقال لها أنه سيذهب للزفة حتى شارع كامبوغواندي. وهي، حيث استرت إليه بأن
راؤول سيحصر له دراجة من الربو. وأنه عددل سوف يركبها بدلاً من التنزه سيراً
على القدمين عبر شارع كامبوغواندي. حفص « ذو الرجل الرخوة » عينيه، لكنه قبل
أن يوجع مشي نحو دونا استير وقلها. كانت هذه أول مرة يقبلها فيها. وسبب هذا
فروخاً كبيراً لها. وأضاف صوت مخفض جداً، نترعاً الكلمات من اعماق ذاته:

.. أنت طيبة جداً. أنداً لن أنسى

خرج ولم يعد. وفي تلك الليلة نام في زاويته بالمستودع. وذهب بيدرو بالا مع فريق
إلى المنزل. وأحاط الآخرون بـ « ذي الرجل الرخوة » معجبين بملابسه، وبشعره
المسرح جيداً. وبالعطير الذي كان يفوح من جسمه. لكن « ذا الرجل الرخوة » قبض
على خناق ولد، وذهب بدمدم متذمراً إلى زاويته وبقي هناك يقوض أظفاره. دون
أن ينام وكان يحس المقلق والغصة، إلى أن عاد بيدرو بالا، والآخرون حاملين نتاج
عملية السطو. وأعلن له « ذي الرجل الرخوة » أن عملية السطو هذه كانت أسهل عملية
على الإطلاق، وأنه لا أحد عرف بها في المنزل، وأن الجميع واصلوا النوم ولعلمهم حتى
ليوم الثاني كانوا لم يكتشفوا السرقة بعد. وكان يظهر الأشياء الذهبية والعصية.
- غداً، سيدع لنا غونزاليس مالا كثيراً لقاء هذه الأشياء الثمينة!..

كان « ذو الرجل الرخوة » يغمض عينيه لكي لا يرى. وبعد أن ذهب الجميع

لليوم، اقترب من « القط »:

- هل تريد أن تعقد صفقة معي؟

- ما هي هذه الصفقة؟

- أعطيتك هذه الملابس، وتعطيني ملابسك.

نظر إليه « القط » مفعماً بالذهول. لا شك في أن ثيابه أفضل من ثياب جميع أفراد
الجماعة، لكنها كانت ملابس عسقة، وهي لا تساوي أبداً قيمة البذلة الجيدة في قامها
الكرمير التي يرتديها « ذو الرجل الرخوة ». « إنه مريض » هكذا فكر « القط » في حين
كان يجيب

- نسألي إذا كنت موافقاً؟ وهل هذا موضع تساؤل؟

وتنادى الملابس. وعاد « ذو الرجل الرخوة » إلى زاويته. وحاول أن ينام.

في الشارع كان يتقدم الدكتور ^(٢٢) راؤول، مع حارسين كان هما الجنديان معها
الذين اشيعا « ذا الرجل الرخوة » ضرباً في السجن. كان « ذو الرجل الرخوة »
يركض، لكن الدكتور راؤول كان يدل عليه بالأصبع، فأخذ « الحارسان » إلى نفس
غرفة السجن. وكان المشهد هو المشهد الدائم: الحود الذين كانوا يلهون يجعله يركض
ساقاً العرجاء، وينهائون عليه بالضرب. والرجل ذو الصدر الذي كان يضحك.
ولكن هذه المرة، في القاعة، كانت توجد أيضاً دونا استير التي كانت تنظر إليه بعينيه
الخزنتي، وتقول إنه لم يعد ابها، وأنه لص. وكانت عينا دونا استير تجعله يتألم
أكثر مما كانت تنزله ضربات الخنود، وأكثر من ابلام ضحكة الرجل الفظة.

واستعبط مبللاً بالعرق. وفر من ليلى المستودع، وداهمه الفجر وهو ييم عبر
الرمال

وفي اليوم التالي، في الليل، جاء بيدرو بالا ليعطيه النقود التي كانت حصته من
الغصمة. لكن « ذا الرجل الرخوة » رفضها دون أن يعطي تفسيراً. واثّر ذلك، جاء
« ذو الكوع الشاف » مع صحيفة تتضمن أخبار لاميباو. وقرأ « الاساذ » المقال
له، « ذي الكوع الشاف » وراح يتصفح الحريدة. وحينئذ نادى:

- يا « ذا الرجل الرخوة »! يا « ذا الرجل الرخوة »!

هرع « ذو الرجل الرخوة » راكضاً. وتراكم نحو أحود، وشكلوا حلقة...
وأعلن « الاساذ » قائلاً:

- هذا يخلصك، يا « ذا الرجل الرخوة ».

وقرأ الاعلان التالي في الصحيفة:

(٢٣) الدكتور (بذ اللب، في الغرايل، يشار ليس فقط إلى الاخاء، بل يمنح هذا اللب أيضاً للقباض
والحامين الخ. ويصوره عادةً لرجل براد تكريم معلمه

- ملاحظة من المترجم -

« بالأسفل اختفى من الرقم من شارع في جي » غراسا ، ولد لأصحاب المنزل .
 يدعى أروست . ولا بد أنه ضاع عبر المدينة التي يكاد لا يعرفها . إن في إحدى قديمه عرجاً ،
 وهو في الثالثة عشرة من عمره ، وهو يحاول جداً ويرتدي بدلة من الكتان الرمادي .
 والشرطة تبحث عنه لا عادته إلى ذويه التاليين ، ولكن حتى الآن لم يعثر له على أثر . وسوف
 تعطي العائلة مكافأة جيدة لمن سيعطي معلومات عن الصغير أروست ، وبعده إلى منزله .
 طل « ذو الرجل الرخوة » صامتاً . وكان بعض على شفثته وقال « الأستاذ » :

- إنهم لم يكتشفوا السرقة بعد
 أحاب « ذو الرجل الرخوة » أجباً بآتياء برأسه . وحين سيكتشفون السرقة لن
 يعودوا يبحثون عنه كولد ضائع . وكثير ما اندادوا تكسيرة هربية وصاح .
 - إن أسرتك تبحث عنك ، يا « ذا الرجل الرخوة » . إن ماماك تبحث عنك لكي
 ترضعك .

لكنه لم يعد يقول أي شيء . لأن « ذا الرجل الرخوة » قد انقص عليه ، شاهرأ
 خمره . وكان يمكن بالتأكيد أن يقر بطن الزنجي الصغير لو لم يسحه جوار غراندي
 و « ذو الكوع الناشف » من يديه . وقد خلف ياراندادوا كثيراً . وعاد « ذو الرجل
 الرخوة » إلى رايته موجهاً نظره بغضاً إلى الجميع . وأدركه بيدرو بالا . ووضع يده
 على كتفه :

- إنهم يمكن أن لا يكتشفوا السرقة أبداً ، يا « ذا الرجل الرخوة » . وأن لا يعرفوا
 أي شيء . عنك . ولا يجب أن تحزن .

- حين سيعود راؤول سوف يعرفون ...
 واستغرق في نكاه ونجيب جعلاً ، فرسان الرمال « مدهولين . إن بيدرو بالا
 و « الأستاذ » قد فهموا وحدها ، وهذا الأخير يده علامة على العجز . وبدأ بيدرو
 بالا حديثاً طويلاً حول مروض مختلف جداً . وهناك ، في الخارج كانت الريح تجري
 على الرمال وكان هريها مثل شكوى أنيس .

صباح مثل لوحة

في حين كان بيدرو بالا يتسلق ساحل الجبل كان يسير معكراً في أنه لا شيء في العالم
 أفضل من الدهاء هكذا ، كيما اتفق ، عبر شوارع باهيا . إن مضعة شوارع فقط هي
 معدة بالرفق . لكن الأكثرية الساحقة من شوارع المدينة مرصوفة بالحجارة السوداء .
 كانت فتبات صاباً يصبى على الشارع من نوافذ المساكن القديمة ، ولم يكن أحد
 يستطيع أن يعلم ما إذا كان هذه هي خياطة رومانية تنظر نجي ، ووج غني ، أو إذا
 كانت مومساً تأمله عر شرفة خفيفة جداً ، مزينة بأزهار قلبية . وكانت نسوة يجحب
 سوداء يدخلن إلى الكسائن . وكانت الشمس تضرب على حجارة الطرقات أو على
 اسفلت الحادة ، وهي تصي . سطوح المنازل . وعلى شرفة طقة سفلية كبيرة كانت تنمو
 أزهار في صناديق . هذه الأزهار كانت ذات ألوان متعددة ومختلفة ، والشمس
 تؤمس لها حصنها اليومية من الضوء . وكانت أجرام كيسة الجبل في الساحل تدعو
 النساء المحجبات اللواتي كن سرن يحظي مستعجلة . وفي وسط الطلعة ، كان زنجي
 وخلصي سحبي على أزهار البرد كان الزنجي قد ألقاها وحياً بيدرو بالا ، عند
 مروره الزنجي :

- كيف حالك ، أيتها « الدومة - البيضاء » ؟

- وأنت يا بالا ؟ كيف حال هذا الادعاء الصغير ؟

لكن الخلاص كان قد القى الزهر الزرد وكان الزنجي مهمناً كئيباً باللعبة . وتابع
 سيدرو بالا طريقه كال « الأستاذ » يرافقه . وكان وجهه انحبس ملقى إلى الأمام ،
 وكأنه من المرحق لم قهر الطلعة . لكنه كان ينسم في عيد الهار . والتفت بيدرو بالا
 نحوه ، وفاحاً اسمائه . وكانت المدينة مبهتجة ، مقمورة بالشمس . « إن نهارات باهيا
 تشبه أيام العيد » هكذا كان يفكر بيدرو بالا ، الذي استسلم هو أيضاً للبهجة . كان
 يصغر مقو ، وبرت بمرح على كسيف « الأستاذ » . وراح كلاهما بصحكان ، وبعد
 قليل ، تحول الضحك إلى اسفواق شديد فيه بيد أنها لم يكن في جيوبها سوى مضعة
 فلوس قليلة ، كانا يرديان الاسبال البالية ، ولا يعرفان ماذا سيأكلان لكن روحهما

كانتا مليئتين بحال النهار وبحرية الانطلاق في شوارع المدينة كانا يسيران صاحكتين بلا سبب، وقد وضع بيدرو بالا ذراعه على كتف الأستاذ، وس حيث كانا، كانا استطاعتهما رؤية السوق ومرفأ السفن الشراعية، بل وحتى المستودع القديم حيث يامان. استند بيدرو بالا إلى جدار الطلعة وقال له الأستاذ:

- عليك أن تصنع لوحة من هذا... إنه جميل جداً.

اقتلت هيئة الأستاذ:

- أعرف جيداً أن هذا لن يحصل أبداً...

- ماذا؟

- هناك مرات احفر فيها دماغي...

وراح الأستاذ يتأمل المباءة هناك، في أسفل السفن الشراعية التي تشبه الدمى، والرجال الصغار جداً الذين يحملون أكياساً على ظهورهم.

وتابع كلامه بصوت حاد، وكأن شخصاً ما قد ضربه، قال:

- أنوي أن أصور يوماً كثيراً من الأشياء هناك.

- لديك وسائل ولو أنك دخلت المدرسة.

- ولكن هذا لا يمكن أبداً أن يكون شائعاً بيجاً، لا...

لم يكن بيدرو أن الأستاذ قد سمع مداخلة بيدرو بالا والأل، كانت عيناه تضيقان في البعيد، وبدا أكثر ضعفاً أيضاً.

- لماذا؟

كان بيدرو بالا مذهولاً.

- أفلا ترى أن كل شيء جميل؟ كل شيء صحيح.

وأشار بيدرو بالا إلى سطح المدينة السفلى:

- هناك توجد ألوان أكثر مما في قوس قزح...

- هذا صحيح... ولكن إذا القيت نظرة على الناس... بدا لك كل شيء حزناً ولست اكلم على الاغنياء. أنت تعرف هذا جيداً. إنني أحدث عن الآخرين، عن رجال الموانئ وعن رجال السوق، أنت تعرف... جميعاً هيئة الجائعين، لا أعرف حتى أن اسر فكري هذا شيء غريب أحس به..

لم يعد بيدرو بالا مذهولاً.

- لأجل هذا قاد جان دادام مرات عديدة اضطرابات على اوصفة المباءة. وهو يقول أن الأشياء سوف تتغير في يوم من الايام. وسيتقلب كل شيء.

- لقد سبق لي أن قرأت هذا في كتاب... كتاب لحان دادام. ولو كنت قد تعلمت في المدرسة، لكان ذلك أفضل. كما تقول. في أحد الأيام، سأكون قد رسمت كثيراً من اللوحات الجميلة. نهار جميل، وناس سعداء يسيرون، وبصحبون، ويتحابون، مثل ناس نارابيه، أليس كذلك؟ حسناً، ولكن أين هي المدرسة؟ أنا أريد تماماً القيام برسم مفعم بالفرح، يكون النهار فيه جيلاً، ويكون كل شيء في هذه اللوحة جيلاً. أما أن يكون الناس حزناً، فهذا لا أريده، كلا. إنني أود أن اصنع شيئاً بيجاً

- من يدري أنه من الأفضل أن يصنع شيء كما تصنع أنت فهذا يمكن أن يكون جيلاً، وأكثر تأثيراً.

- ماذا تعرف عن ذلك؟ وماذا أعرف أنا؟ نحن لم نذهب أبداً إلى المدرسة.

إنني أربح في رسم صورة الناس، وصورة الشوارع، لكنني لم أذهب أبداً إلى المدرسة. وهناك أشياء كثيرة لا أعرفها...

هذا الأستاذ قليلاً، ونظر إلى بيدرو بالا الذي كان يصغي اليه، ثم تابع كلامه قائلاً:

- هل سبق لك أن القيت نظرة على مدرسة الفنون الجميلة؟ إنها مذهلة جداً، يا عصي العتيق. لقد تسلمت إليها يوماً، ودخلت إلى إحدى قاعاتها واختبأت. وكانوا جميعاً هناك، مرتدين بلورات بيضاء، ولم يشاهدوني. وكانوا يرسمون امرأة عارية، أو لو كنت استطيت يوماً...

ظل بيدرو بالا ساهماً ونظر إلى الأستاذ وكأنه، أي بيدرو، كان يعكس ثم قال، بلهجة جدية:

- هل تعرف كم يكلف ذلك؟

- ماذا؟

- تكاليف المدرسة؟ والأستاذ؟

- ما هي هذه القصة؟

- سوف نشرق في الدع، سندفع لأجل دخولك المدرسة...

راح الأستاذ يضحك.

- إنك لا تدرك المسألة. هناك تعقيدات كثيرة... لا يمكن، كلا. توقف عن قول حقايات.

- يقول حان دادام أننا سوف نستطيع يوماً الذهاب إلى المدرسة...

وعادا يسيران ، وهذا أن « الاستاذ » لم يعد يحس بهجة هذا النهار - كما لو أن هذا النهار امتد ، بعيداً جداً عنه . ولطمه بيدرو بالا :

- في يوم من الأيام ، أياها الاح المعجوز ، سوف تضع كومة من الرسوم في قاعة شارع التشيلي . بدون مدرسة ، وبدون أي شيء . لا يوجد واحد من طلاب مدرسة المون يرسم الوجه مثلك ... أنت ، من هذه الناحية ، متوق ...
استمع ق « الاستاذ » في الضحك وضحك بيدرو هو أيضاً :

- وسوف ترسمي ، أليس كذلك ؟ وستضع اسمي في أسفل الصورة ، هل ستضعه ؟ الفارس بيدرو بالا ، الفحل ، المقدام .

وأخذ وضع مصارع ، ماداً ذراعه . وضحك « الاستاذ » وضحك بيدرو هو أيضاً . وسرعان ما انفجر ضحكهما كالسحابة ولم يهدأ إلا للاحتلاط بمجموعة من المتكسعين الذين تحلقوا حول عازف قيثارة . كان الرجل يعزف ويعي لحناً من مدينة باهيا .

حين قالت لي وداعاً
حملت قلبي صلياً

توقفاً وبعد قليل ، راحا يغنيان مع الرجل . ومعهم كان الجميع يغنون ، كانوا صيادين ، ولصوصاً ، وعمال مواني ، بل كانت هناك موسم تغني هي أيضاً ، وكان الرجل صاحب القيثارة متصرفاً تماماً إلى موسيقاه ، بل وحتى لم يكن يرى أحداً . ولو لم يكن الرجل قد نهض لبقي في طريقه ، مستمراً في العزف على القيثارة ، ومعباً ، لكنا سباً متابعين طريقها نحو المدينة العالية . لكن الرجل انصرف ، حاملاً معه هبة الموسيقى وتفرقت الجماعة ، ومر بائع صحف ، متادياً على صفح الصباح . وتابع « الاستاذ » ويدرو بالا في صعود الطلعة ، ومن ساحة « المسرح » صعوداً شارع « التشيلي » وسحب « الاستاذ » الطيشورة من جيبه ، وجلس على الرصيف ، وبقي بيدرو إلى جانبه . وحين رأيا الشاب والفتاة قادمين ، بدأ « الاستاذ » يرسم . وحقق رسماً . بأسرع ما يمكن . وكان الحبيبان قد اقتربا كثيراً فأخذ « الاستاذ » حينئذ يرسم ملايح وحبيها . كانت الفتاة تبسم ، لا شك في أنها خطيبان . لكنها كانت متفرقتين في حديثها بحيث لم يلاحظ الرسم . وتوجب أن يقترب بيدرو بالا نحوها :

- لا تسحق صورة الآنة ، يا سيدي ...

نظر الرجل إلى بيدرو بالا ، وكاد يجيه بهوقاحة ، حين لاحظت الفتاة رسمه « الاستاذ » ، ولعلت نظر الشاب إليها .

- ما أجل هذا ..

وراحت تصفق مثل طملة قدمت لها دمية .

التي الشاب نفرة وابتم وتحول نحو بيدرو بالا :

- هل انت الذي رسمت هذا ، يا صغير ؟

- بل أنه صديقي هذا . الرسام « الاستاذ » .

كان « الاستاذ » يضيف بعض اللصات إلى شارب الرجل ، اللائق جداً . ثم راح يكمل رسم وجه الفتاة . وهي حينئذ اتخذت وضع من يجري تصويره ، وصحكت الخطيبان معاً ثم تعلقت الفتاة برند حبيبها

وأخرج الرجل محفظته ، وألقى قطعة نقود من فئة الألفي ربيس . التقطها بيدرو بالا على الطائر . وتامعا طريقها . وبقي الرسم وسط الرصيف ، وقد لاحظته من بعد بعض الأواوس . العائدات من السوق ، وقالت احداهن .

- لمص بسرعة ، لأن هذه الصورة ، هناك ، تبدو لي انها اعلان عن فيلم جديد لماربوري . ويظهر أنه شاب جميل جداً .. وهو قوي للغاية أيضاً .

وسمع بيدرو بالا و « الاستاذ » ما قالته الفتاة ، وقهقهها ضاحكين وسارا ، يتأبط كل منهما خصر الآخر ، يتابعان طريقهما عبر حرية الطرقات

توقفاً من جديد امام قصر الحكومة تقريباً . كان « الاستاذ » ينظر ، والطيشورة بيده ، أن يخرج « زبون أمله » من حافلة الترام . وكان بيدرو بالا يصغر إلى جانبه ، عما قريب سوف يملكان النقود الضرورية للدفع نحو غداء ، جيد ، وأيضاً لشراء هدية لـ « كلارا » ، صديقة « حبيب الله الطيب » التي في هذا اليوم عيد ميلادها .

اعطت عجزو قصيرة فليس نحن رسمها . وكانت هذه المعوز قبيحة وقد أحترم « الاستاذ » قبحها غير الرسم . ولاحظ بيدرو بالا قائلاً :

- لو أنك رسمتها بصورة أجل وأقوى ، لكات اعطتك المريد .

حمل « الاستاذ » يضحك . هكذا مرت فترة قبل الظهر ، وكان الاستاذ يرسم وحوه الذين يمرون في الشارع . وبيدرو بالا يلتقط قطع النقود القصية أو البككية ، التي كانت تلقى لها . كانت الساعة تعلن الثانية عشرة طهراً حين ظهر رجل بدخن ممسم سيحارة يبدو أنه غمير جداً . وركض بيدرو بالا يبلغ « الاستاذ » مبهجاً .

- ارم صورة هذا الابله فهو يبدو غنياً جداً .

وشرع « الاستاذ » يرسم وجه الرجل النحيف ، ومبسم السحابة الكبير جداً ، وشعر الرجل المنجمد ، الذي يمر خارج القبة . وكان الرجل يعمل أيضاً كتاباً بيده ، وقد ألت

«الاستاذ» رغبة لا يمكن مقاومتها في رسم الرجل وهو يقرأ كتابه. كاد الرجل يتعمد فاستلقت يده بالانتباه:

- انظر إلى صورتك، يا سيدي.

سحب الرجل بسم السبحارة الطويل من فمه، وسأل بالا:

- ماذا قلت يا ولدي؟

أشار بيدرو بالا إلى الرسم الذي كان يعمل عليه «الاستاذ». كان الرجل يبدو جالساً (وغم أنه لم يكن هناك كرسي، ولا ما شابه، كان جالساً في الهواء) يدخن بسم السبحارة ويقرأ في كتابه. وكان الشعر المجعد يتطاير خارج القبعة. تفحص الرجل الرسم بانتباه، وجعل يتأمل من زوايا مختلفة، لكنه لم يكن يقول شيئاً. وحين اعتبر «الاستاذ» أن العمل قد انتهى، سأله الرجل:

- أين تعلمت فن الرسم، يا عزيزي؟

- ليس في أي مكان.

- ليس في أي مكان؟ وكيف ذلك؟

- هذا مع ذلك صحيح، يا سيدي.

- وكيف ترسم أنت؟

- أنا أرعب في الرسم. وأوقف، فأرسم.

بدأ الرجل غير مصدق. لكن امثلة أخرى بلا شك مثلت في ذاكرته:

- هل تعني القول أنك لم تعلم فن الرسم أبداً؟

- أبداً، كلا، يا سيدي.

وأضاف بيدرو مالا. أستطيع أن أؤكد ذلك، فتحن نكمن معاً، وأنا اعرف ذلك جيداً

- اذن، فهدمة موهبة حقيقية. هكذا همس الرجل.

وعاد يتمحس الرسم، وسحب نمشة طويلة من بسم سيجارته. وكان الولدان

ينظران إلى بسم السبحارة مسحورين

وسأل الرجل «الاستاذ».

- لماذا رسمتني جالساً وأنا أقرأ كتاباً؟

حث «الاستاذ» رأسه، كما لو أنه كان من الصعب الاجابة. وأراد بيدرو بالا

الكلام، لكنه كان متأنثراً، ولم يعمل شيئاً. وفي النهاية، أوضح «الاستاذ» قائلاً

- فكرت أن هذا يأسك بصورة أفضل

وحك رأسه مجدداً.

- لكنني لست اعرف حقاً لماذا؟

وهمس الرجل بصوت أكثر تخففاً: هذه موهبة حقيقية... قال ذلك بهيئة شخص حقق اكتشافاً.

كان بيدرو بالا ينتظر التقود لا سياً وأن الحارس كان يراقبهم بحذر وريبة. وكان «الاستاذ» يرمق بسم سيجارة الرجل، الطويل (أي الميسم)، الموشوم، وهو تحفة رائعة، لكن الرجل تابع قائلاً:

- أين تسكن؟

لم يعط بيدرو بالا وقتاً، للاستاذ، لكي يجيب. وكان هو، أي بيدرو، الذي تكلم:

- نحن نقطل مدينة القش...

دس الرجل يده في جيبه، وسحب منها بطاقة زيارة:

- هل تعرف القراء؟

- أجل نحن نعرف القراء، يا سيدي.

- هذه البطاقة تحمل عوائي وأريد أن تأتي ونسأل عني ولعلي أستطيع أن أفعل

شيئاً من أجلك.

تناول «الاستاذ» البطاقة. وسار الحارس نحوهم. وبيدرو بالا استأذن للذهاب.

- إلى اللقاء يا دكتور.

وكاد الرجل أن يسحب محفظته، لكنه فاجأ نظرة «الاستاذ» إلى بسم السبحارة

فالتفت منها السبحارة، وقدم الميسم للولد.

- هذا من أجل صورتك، تعالي وزرني في منزلي.

لكن الولدين انحذوا بسرعة نحو شارع «الشيلي»، لأن الحارس كان قد وصل

اليها تقريباً. وكان الرجل ينظر دون أن يفهم، حين سمع صوت الحارس:

- هل مرقا منك شيئاً، يا سيدي؟

- كلا، لماذا؟

- لأنه، نظراً لأن هديس الصنن كما قرأت...

- إنها ولدان، ثم إن احدهما أظهر استعداداً ممتازاً للرسم

رد الحارس: - إنها لخاص وهما من عصاة «فرسان الرمال».

- «فرسان الرمال»؟ هكذا سأل الرجل وهو يجهل لكي يتذكر. لقد سبق أن

قرأت شيئاً في هذا الصدد ألا يتعلق الأمر بأولاد مشردين لقطاء؟

كان صوته يرتفع عالياً؛ وأصبح الآن يصرخ في حقد.
هز بيدرو بالا رأسه بالامحاج، وترك يده البطاقة التي سقطت في الساقية. والآن
م يعودا يضحكان، بل أصبحا حزينين وسط بهجة هذا الصباح المشمس، هذا الصباح
المشابه للوحة رسام من «الفنون الجميلة».
كان عال يمرون ذاهبين إلى عملهم، بعد فطور الفقراء؛ كان هذا هو كل ما
يربانه. كل ما توصلوا إلى رؤيته في ذلك الصباح.

- لصوص، نعم، هكذا هم.
انتبه، يا سيدي، حين يقتربون منك. وأنظر إذا لم تكن قد فقدت شيئاً ما...
أشار الرجل بالنفي. ونظر إلى ناحية الشارع. ولكن لم يبق أي أثر للغلامين. وشكر
الرجل الحارس، مؤكداً مرة أخرى أنه لم يسرق منه شيء، ونزل في الطريق وهو
بهمس:

- هكذا نفقد فنانين كباراً. وهذا الصبي يمكن أن يصبح رساماً عظيماً!
كان الحارس يتأمل في الرجل. وإثر ذلك علق قاتلاً لازرار برته:
- بحق تماماً من يقول أن هؤلاء الشعراء محسوسون، فاقدوا العقل...
كان «الاستاذ» يظهر مبسم السجارة. وكان قد وصل إلى خلفية ناطحة سحب،
يوجد فيها (أي الخلفية) مطعم ممتاز. وكان بيدرو بالا يعرف كيف يحصل من الطباخ
على بقايا الطعام. ووفقاً ينتظران طعامهما في الشارع الخالي من المارة. وبعد أن اكلا،
قدم بيدرو بالا السجائر، وكان «الاستاذ» يتأهب للتدخين مبسم السجارة، الذي
اعطاه الرجل له. وسعى لتنظيفه.

- الحيوان نحيف مثل العصا. ويمكن أن يكون مسلولاً...
ونظراً لأن «الاستاذ» لم يجد لأجل تنظيف مبسم السجارة شيئاً أفضل من بطاقة
زيارة الرجل. فقد فتلها وأدخلها في مبسم السجارة، وحين انتهى من تنظيفه، رمى
الورقة في الشارع. وسأله بيدرو بالا:
- لماذا لا تحتفظ بها؟

- ولأي شيء؟
واستغرق «الاستاذ» في الضحك. وجاراه بيدرو بالا وملأت ضحكاتها الشارع
فترة. كانا يضحكان هكذا، بدون سبب، لمجرد متعة الضحك.

لكن بيدرو بالا استعاد جديته:
- كان يبدو أن الرجل قادر تماماً على مساعدتك لتصبح رساماً...
وتناول البطاقة وقرأ اسم الرجل:
وقال: - عليك الاحتفاظ بها، فمن يدري؟
خفص «الاستاذ» رأسه:

- كف عن البلاء، يا بالا. انت تعرف جيداً أنه لا يظهر من وسطنا إلا
لصوص... ومن ترى يمكن أن يتم بنا؟ من؟ لا شيء سوى اللصوص، لا شيء سوى
اللصوص...